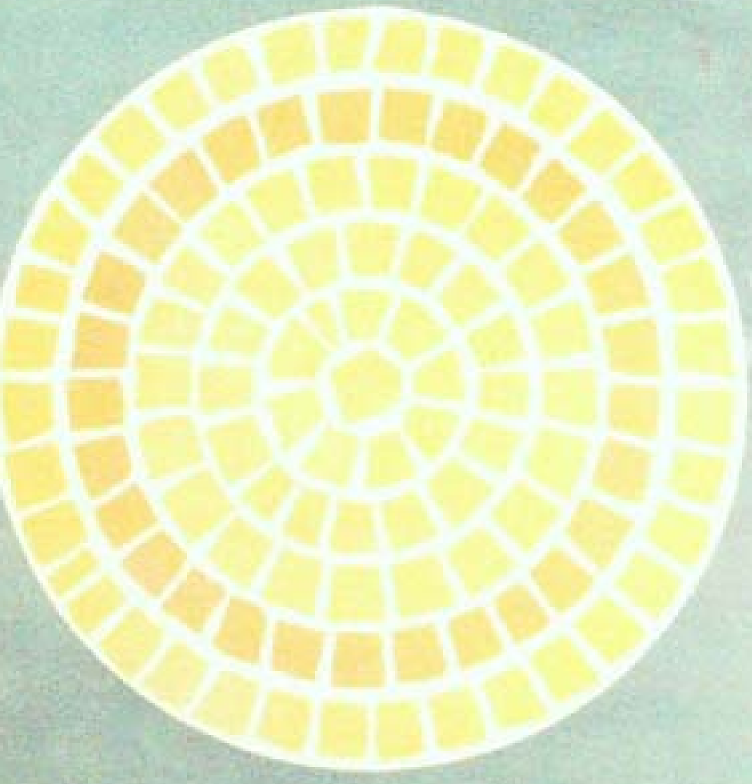
المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي، يصدرها مكتب الاعلام والنشر في القيادة القومية



العددان : ٢٠٤ - ٢٠٥
كانون الثاني - شباط ١٩٨٧

المناضل

المحتويات

« المناضل ص.ب — ١١٥١٢ — دمشق »

المحتويات

« المناضل ص . ب – ١١٥١٢ – دمشق »

الافتتاحية

القمة الاسلامية الخامسة بـين مقدماتها ونتائجها

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

انعقدت في الكويت في الفترة ما بين ٢٦ ـ ١٩٨٧/١/٢٩ القمة الاسلامية الخامسة بمشاركة واسعة من رؤساء الدول العربية والاسلامية ، لقد اثار المؤتمر قبل واثناء انعقاده جدلا واسعا لدى جميع الاطراف المشاركة فيه ، وكذلك اطراف اخرى لم تشارك بطريق مباشر ، خصوصا تلك الدوائر الامبريالية التي حاولت ان تجعل من المؤتمر منبرا لترويج السياسة الامريكية والاستسلامية في المنطقة العربية وفي العالم الاسلامي ، ومحاولة جعل نهج كامب ديفيد ومفرزاته سياسة وواقعا مقبولا من اطراف المؤتمر خصوصا بعد

قرار اعادة عضوية النظام المصري الى المؤتمر الاسلامي ومشاركته فيه .

لقد كان الهدف ايضا التمهيد للنظام المصري لادخاله عبر البوابة الاسلامية الى الساحة العربية واعادة عضويته للجامعة العربية بعد ذلك ، بكل ما يحمله من اوزار اتفاقية الاستسلام مع العدو الصهيوني .

ان الدوائر الامبريالية والرجعية المعادية للاماني العربية والتوجهات الاسلامية حاولت ان تجعل المؤتمر ينحرف عن الطريق الذي وجد من اجله في الاساس بعد محاولات الصهيونية حرق المسجد الاقصى عام ١٩٦٩ وهو التضامن مع الوطن العربي في كفاحه ضد الصهيونية ودعم الحق العربي لاسيما في ابعاده الاسلامية وكان يهدف الى حشد جهد المسلمين في مشارق الارض ومغاربها لمقاومة الصهيونية ومخططاتها ومقاومة السياسات الامبريالية ، ومن اجل وحدة حقيقية في ضوء مبادىء الاسلام السمحة التي اعطت البشرية قيما ومبادىء ساهمت عبر قرون عدة ومن خلال الحضارة العربية في وضع اسس النهضة التي وصل اليها العالم اليوم .

وعند استعراض سريع للمواقف المختلفة والمشاريع المطروحة للقرارات وكذلك جدول الاعمال الزاخر بالموضوعات المتناقضة التي اعدت لتعرض على القمة يمكن ان نلخص المقدمات المشبوهة التي حاولت تلك الدوائر تنفيذها بالاتي :

اولا : ـ تسويق نهج كامب ديفيد وسياسة الاستسلام عربيا واسلاميا مع ما يتبع ذلك من آثار سلبية على الامة العربية والشعوب الاسلامية وتعميم السياسة الامريكية في المنطقة وجعلها اسلوبا في الحياة تسعى الصهيونية وامريكا الوصول اليها وهو تثبيت

دولة « اسرائيل » كيانا اصيلا في المنطقة حيث لا يمكن معه ان يتم اي عمل او قرار او سياسة دون مشاركتها ، وتصبح بذلك الدولة الاكثر قدرة على التأثير والفعل في توجيه السياسة والاقتصاد ، والثقافة والحياة العامة بسبب ما تتمتع به من تأثير ودعم الولايات المتحدة الامريكية ، وتكون بذلك قد حققت الشعار الذي طرحه غلاة الصهاينة ومنذ مدة بان « اسرائيل ستصبح ضمن دول المجموعة العربية والاسلامية » .

ثانيا : ـ توجيه الاهتمام وحرف الانظار عن المخاطر الحقيقية التي تواجه العالم الاسلامي والامة العربية والمتمثل في وجود الكيان الصهيوني في فلسطين ، ومحاولات التركيز على قضايا خلقتها الامبريالية الامريكية والدوائر الصهيونية والرجعية العميلة وشجعتها وغذتها وصعدت اوار اقتتالها ، وما تزال تشكل بؤرا للتوتر منتشرة في بقاع عدة مثل تشاد وافغانستان ولبنان والحرب العراقية ـ الايرانية ، وجنوب السودان والصحراء الغربية وغيرها كل ذلك في محاولات يائسة لطمس وتغطية معالم الخطر الحقيقي الناجم عن احتلال الصهيونية لفلسطين الذي هو سبب معظم مشكلات المنطقة واشعال نار تلك الحروب المتعاقبة واحتلال اراض عربية اخرى .

لقد وعى حزب البعث العربي الاشتراكي وثورته في القطر العربي السوري تلك المخططات المشبوهة التي تتهدد الامة العربية والشعوب الاسلامية فكان تحرك الرفيق الامين العام حافظ الاسد رئيس الجمهورية ومشاركته في الحضور شخصيا جلسات المؤتمر والنشاط البارز الذي مارسه كان عاملا اساسيا وحاسما في اعادة توجيه مسار النقاش وتوجيه المؤتمر كله في وجهة صحيحة ، الا وهي التركيز على القضية الفلسطينية كأساس لكل الجدل والنزاع الذي يحيط بالامة ، مؤكدا بحضوره وبتحليله ومواقفه وما قدمه في الكلمة المهمة التي تحدث فيها بشمولية وعمق وما قدمه من دلالات تاريخية ومعاصرة وما قام به من اتصالات ثنائية

مع وفود المؤتمر مؤكـداً المنطلقات الاساسية في الصراع العربي ـ الصهيوني معرياً كل السياسات الانهزامية والاستسلامية الاخرى المدعومة من الامبريالية وعملائها بالاضافة الى ذلك فانه اشار الى قضايا حركة التحرر العالمي ، وطالب المؤتمر بتاييدها والانتصار لها كما فضح السياسة الارهابية التي تمارسها الامبريالية مؤكدا ان الارهاب هو ما تتعرض له الامة العربية والشعوب المناضلة التي تقاسي من الضغط والاحتلال والاعتداءات وحشد الاساطيل مميزا بذلك بين الارهاب هذا وبين ما تمارسه الشعوب المكافحة من حق في مقاومة الاحتلال والاستلاب والتشريد الذي تسببه قوى الظلم والعدوان .. وبذلك وضع المؤتمر في مساره الصحيح واستطاع الرفيق الامين العام ان يوجه الانظار مرة اخرى نحو القرارات والتوصيات الصحيحة التي تخدم الامة العربية والتوجهات الاسلامية ، وبذلك اصبح المؤتمر مظاهرة لمحاكمة النهج الامريكي الامبريالي الصهيوني وتعريته بدلا من ان يكون منبرا للترويج له ، لذا نرى ان الاجهزة الاعلامية الامبريالية لم تعر اهتماما كبيرا لنتائج المؤتمر كما كانت تطبل وتزمر قبل انعقاده . وقد ايد الاصدقاء في الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتي خصوصا الموقف الواضح الذي وقفه الرئيس حافظ الاسد وقدروا جهوده في المؤتمر واهتمامهم بالنتائج الايجابية التي تمخض عنها .

ان النتائج التي خلص المؤتمر اليها ايجابية بشكل عام مع انها لا تصل الى الحد الذي يطمح اليه المناضلون العرب والتقدميون في العالم الاسلامي لكنها باساسها تشكل نقطة مهمة من نقاط الارتكاز الذي يعتمد عليه في النهاية صوغ القرار العالمي والتاثير في الراي العام في كثير من دول العالم فمن المعلوم ان دول المنظمة الاسلامية تشكل ثلث مجموع اعضاء الهيئة العامة للامم المتحدة ، وقد شاركت المنظمة الدولية عبر امينها العام في المؤتمر وبالتالي فان تلك القرارات والتوصيات ستنعكس بشكل ايجابي على

ما ستصدره الامم المتحدة ومنظماتها المتعددة لصالح النضال العربي في مواجهة الامبريالية والصهيونية .

ان تاكيد المؤتمر الاسلامي للقرارات السابقة بخصوص الصراع العربي الصهيوني ومواجهة السياسة العنصرية لدولة « اسرائيل » يشكل منطلقا للحفاظ على جوهر المنظمة والغايات والاهداف التي تاسس من اجلها كما ذكرنا وهذا يعطينا الامل ويدفعنا للاستمرار في تنمية وتوطيد علاقاتنا مع الاشقاء والاصدقاء على اساس المواقف القومية الثابتة ودعوة الجميع وباستمرار الى التمسك بها والدفاع عنها .

دراسات سياسية

اقتراح بإحداث برنامج لدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن مع تأكيد النموذج الصهيوني

الرفيق : د. جورج جبور

يتخذ النضال العربي من الصهيونية طابعا مميزا في الصراعات الدولية ، فهو بالاضافة الى كونه صراعا مصيريا بالنسبة لنا تتعدد جوانبه الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتاريخية ، فانه يكشف زيف المبدا الادعائي الديني التاريخي للصهيونية بوصفها حركة عنصرية استعمارية .

وهذه الدراسة التي تنشرها المناضل تتضمن الابواب التالية :

١ ــ الرفيق الامين العام للحزب وعنايته بتعميق مفهوم الاستعمار الاستيطاني المقارن .

٢ ــ الاهمية الراهنة لمفهوم الاستعمار الاستيطاني المقارن .

٣ ــ اهداف الاقتراح باحداث برنامج لدراسات الاستعمار الاستيطاني ..

٤ ــ خطة المقرر دراسته ومدته ومستواه ..

٥ ــ جامعة الدول العربية ومحاولة انشاء مؤسسة متخصصة بدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن ..

٦ ــ ملاحظات ختامية عن الحالة الراهنة للبحث العلمي في مجال الاستعمار الاستيطاني مع تأكيد النموذج الصهيوني ...

ان كشف دور الصهيونية كعقيدة وحركة عنصرية مناهضة لتطلعات حركات التحرر الوطني يتطلب جهدا متواصلا وخاصة في الجانب العلمي منها كانشاء المؤسسات او البرامج المخصصة بدراسات الاستعمار الاستيطاني .

« المناضل »

● اولا : الرفيق الامين العام وعنايته بتعميق مفهوم الاستعمار الاستيطاني المقارن :

اولى الرفيق حافظ الاسد الامين العام للحزب رئيس الجمهورية عناية كبرى ، مبكرة ومستمرة ، لتعميق فهم التماثل البنيوي بين الصهيونية والابارتيد (الفصل العنصري) في اطار مفهوم الاستعمار الاستيطاني :

ففي ١٤ ــ ١٠ ــ ١٩٧١ تبنى الرفيق الامين العام اقتراحا ارسل الى وزارة الخارجية لعرضه على جامعة الدول العربية ، يتضمن « انشاء مؤسسة لبحوث الاستعمار الاستيطاني المقارن في العالم » .

وفي اول مؤتمر حضره لرؤساء دول وحكومات بلدان عدم الانحياز (المنعقد بالجزائر بين ــ ٥ ــ و ــ ٨ ــ ايلول ١٩٧٣) شرح الرفيق

الامين العام التماثل البنيوي بين الصهيونية والابارتيد في هـــذه المقاطع الرائعة :

ـ « .. على الرغم من الهدوء الظاهري ، ثمة بؤرتان خطيرتان للتوتر تهددان مستقبل البشرية في منطقتين من اغنى المناطق واهمها موقعا استراتيجيا ، هما افريقية والوطن العربي .

ـ ففي الوطن العربي قام النظام الامبريالي الاوروبي بزرع كيان استيطاني ، مستخدما شوفينية مصطنعة ، وتمت هذه العملية على حساب شعب اضطهد واخرج من وطنه وسلبت مقومات وجوده ، ومورست العنصرية باقسى انواعها على من بقي منه في ذلك الوطن فحرم المواطن العربي الفلسطيني من ابسط حقوقه : صـودرت اراضيه ، واقيمت عليها مستوطنات للغزاة ، وطبقت العنصرية بكامل ابعادها وابشع صورها في مجالات التعليم والعمل والحقوق المدنية . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل امتـد هذا الكيان الاستيطاني عدوانا بقدر ما تسمح له قوته والدعم الامبريالي الذي يلقاه . امتد الى اراضي دول مستقلة اعضاء في الامم المتحـدة ، وكان هذا العدوان والامتداد في العدوان الحالة الاولى والوحيدة من نوعها في تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية .

ـ وما يزال هذا الكيان الاستيطاني يؤكد عزمه على متابعة اندفاعه العدواني والتوسعي والعنصري بدعم غير محدود من الولايات المتحدة الامريكية .

ـ واستطرادا ، اريد ان اذكر بالتشابه الكبير بين هذا الوضع في الوطن العربي ، وبين الوضع القائم في افريقيا وان اؤكد التماثل البنيوي والتعاون الوثيق بين الكيان الصهيوني الاستيطاني وبين الانظمة الاستيطانية العنصرية في جنوب افريقيا وزمبابوي .

ـ ان صلات القربى هذه تعود الى وحدة الاصول الاستعمارية والى وحدة الاهداف ، هذه الوحدة التي عبر عنها تيودور هرتزل

مؤسس الصهيونية في مذكراته ، ضمن رسالة خطها الى سيسل رودس ، وصاغها بعبارات الاعجاب « بالاستعماري الناجح » وبالتمني ان ينال رضاه ويحظى بموافقته على استعمار فلسطين ، اسوة بما كان قد فعله رودس في البلاد التي يريد لها خلفاؤه ان تحمل اسمه .

ـ فما تلك التجربة ، المدهشة في شذوذها وانحرافها والمتمثلة في نظام سميث ككيان استيطاني ، الا تكرار لما جرى في فلسطين قبل ذلك الوقت بما يقرب من عقدين . واننا اذ نتذكر هذا التاريخ ، فلكي نؤكد اليوم ايضا على التماثل الايديولوجي بين الصهيونية والابارتيد ، وعلى ضرورة تحرير الوطن العربي وافريقيا من العنصرية المقيتة المنبثقة حكما عن كيانات استيطانية تشعر بتفوقها متحدية بذلك المثل العليا للبشرية .

ـ ان العدوان الواقع على الامة العربية والشعوب الافريقية ، يشكل اخطر تحد تواجهه البشرية فيما تبقى من هذا القرن . وانه لمن انصاف البشرية لنفسها ان تتخذ من كبح اندفاع هذا العدوان هدفا ، وان تتخذ من التدابير ما يكفل تحقيق هذا الهدف . وبهذا المعنى فان النضال ضد الصهيونية والابارتيد يمثل طليعة نضال البشرية ويجسد تطلعاتها ، وبذلك فان هذا النضال ليس واجبا على مجموعة من الشعوب فقط ، وانما هو في حقيقته العليا واجب على الانسانية جمعاء تجاه ذاتها .

ـ اما واجبنا المباشر ، فهو ان نمارس مزيدا من الاعتماد على الذات ، وان نوحد قوانا كلما امكن ذلك ، وان نتعاون على نحو اوثق طلائعنا الثورية المقاتلة . ذلك ان التناقض الاكبر هو التناقض بين الكيانات الاستيطانية والذين يدعمونها من جهة ، وبين قوى التحرر من جهة اخرى .

ـ ولقد كانت مناهضة شعبنا للاستعمار والعنصرية في افريقية وما تزال مبدا نلتزم به . وانه لمن دواعي الارتياح ، وانها لظاهرة

من ظواهر توحد الفكر والعمل ، ان نرى دولا افريقية كثيرة تتخذ مبدأ لها مناهضة العنصرية الصهيونية » .

اما في آخر مؤتمر حضره الرفيق الامين العام للحزب لرؤساء دول وحكومات بلدان عدم الانحياز (المنعقد في نيودلهي بين -٧- و -١١- آذار ١٩٨٣) فقد قال :

« لقد كنا على حق عندما قررت قمة عدم الانحياز ان الصهيونية حركة عنصرية ، وعندما دانت قمة هافانا الصهيونية كعقيدة وحركة تعمل ضد حركات التحرر الوطني ، وعندما طالبت في قرارها البلدان الاعضاء في حركة عدم الانحياز بالعمل على تشكيل لجنة دائمة لمكافحة الصهيونية ضمن اجهزة الامم المتحدة بهدف كشف جرائمها ومؤامراتها ضد الانسانية وحركات التحرر الوطني » .

كما ان الرفيق الامين العام للحزب وجه كلمة الى « مؤتمر التضامن العربي مع نضال شعوب افريقيا » (المنعقد في تونس بين - ٧ - و - ٩ - آب ١٩٨٤) قال فيها :

« ان علينا اتخاذ مواقف محددة تترجم الى اعمال لانقاذ العرب والافريقيين خاصة ، والبشرية عامة ، من آفة العنصرية . واحد جوانب هذا العمل المشترك هو ان نعمق بالدراسة ، وعبر مؤسسة مناسبة ، معرفتنا بالاستعمار الاستيطاني في المنطقتين العربية والافريقية » .

وفي مكان لاحق من هذا البحث سنتطرق الى الاثر الذي احدثته في المؤتمر رسالة الرفيق الامين العام ضمن الجزء الخاص بـ « جامعة الدول العربية ومحاولة انشاء مؤسسة متخصصة بدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن » .

وبلغ الرفيق الامين العام في خطابه بمؤتمر القمة الاسلامي الخامس في الكويت (اواخر كانون ثاني ١٩٨٧) اوجا جديدا في التعبير عما يختلج في وجدان كل عربي ومسلم وكل معاد للعنصرية

في العالم حين ركز الخطاب على مفهوم عنصرية الصهيونية شارحا المعاني المتعددة لذلك المفهوم . وبالطبع كان لهذا الخطاب وقع مدهش في المؤتمر ، بلغ حد قلب كل المعادلات التي هيأ لها « عرب امريكا » انفسهم في المؤتمر . وبالطبع فقد قرر المؤتمر تجديد دعمه القرار - ٣٣٧٩ - الذي ينص على مساواة الصهيونية بالعنصرية .

● ثانيا : الاهمية الراهنة لمفهوم الإستعمار الاستيطاني :

اذا عددنا الصراعات العالمية الكبرى ، فلن نستطيع الا أن نضع في عدادها الصراعين في كل من الشرق الاوسط وافريقيا الجنوبية . واذا امعنا النظر في تكييف كل من هذين الصراعين لوجدنا ان تكييفهما واحد ، فهذان الصراعان ناتجان عن الوجود الحاكم لنحو ثمانية ملايين من السكان الغرباء عن المحيط الذي يحيط بهم ، نصفهم في فلسطين والاراضي العربية المحتلة ، ونصفهم الآخر فيما يدعى جمهورية جنوب افريقيا .

وبتعبير « غرباء عن المحيط الذي يحيط بهم » نقصد مجموعة امور تخص الوضع الاجتماعي - الاقتصادي - السياسي الراهن ، ولا نقصد بالضرورة ان نخوض في بحث تاريخي ، اتقنه الصهاينة والبوير اكثر مما اتقنه العرب والافريقيون ، عمن اقدم ، العرب ام الصهاينة ، الافريقيون ام البوير ، في كل من فلسطين وجنوب افريقيا .

هذه « الغربة عن المحيط » **هي التعبير - المفتاح لجملة مظاهر** متفاعلة ينجم عنها نمط موحد من السلوك نشهده في التوضعين الاستيطانيين ، الصهيوني والابيض ، بمواجهتهما المحيطين العربي والافريقي .

ثم ان لهذين التوضعين الاستيطانيين ، الى جانب غربتهما عن محيطهما ، وهي غربة تنبثق عنها العنصرية ضرورة ، قدرة ذرية لا يمارى بها ، بل وتحالفا ذريا يبلغ مرحلة التكامل الذري ، يغطي

كل الامتداد العربي ــ الافريقي . بل ويمكن القول انه ما من دولتين في الامتداد العربي ــ الافريقي تتبادلان الحب فيما بينهما (وان بك سريا في كثير من الاحيان بناء على رغبة«اسرائيل».لان نظام الابارتيد عدو مشرع لكل افريقيا ولمعظم الانسانية) بالقدر الذي يتبادل فيه الحب التوضعان الاستيطانيان في فلسطين وجنوب افريقيا .

وبالطبع تتجه سياسات الدول العربية والدول الافريقية الى مناهضة هذين التوضعين الاستيطانيين . ولم يكن انشاء جامعة الدول العربية وانشاء منظمة الوحدة الافريقية الا مظهراً من مظاهر هذه المناهضة ، رغم ان هاتين المنظمتين الاقليميتين انشغلتا تاريخيا في امور اخرى الى جانب مناهضة الصهيونية والابارتيد ، مثل هم تصفية الاستعمار التقليدي ، والهم الاكبر في احكام تقاليد تعاون يقود الى تنسيق متكامل . على كل حال ، ليس من الخطأ الربط بين هذين الهمين في تصفية الاستعمار التقليدي وفي احكام تقاليد التعاون ، بين مناهضة الصهيونية والابارتيد . بل ولا ريب ان التحليل الادق يقودنا الى الايمان بوحدة هذين الهمين مع مناهضة الصهيونية والابارتايد .

والآن اذ يزداد عصف « رياح التغيير » في جنوب افريقيا حتى ليكاد ذلك العصف يقتلع من جذورها تلك القلعة العنصرية ، فلدينا من الشواهد مايثبت ان الاكثر اهتماما في الامتداد العربي ــ الافريقي بالمصير المحتم للابارتايد ، بعد الدول الافريقية المحيطة بجنوب افريقيا ، هم الصهاينة . انهم يرون في المصير المحتم للابارتيد اشارة حزينة الى مصير لهم محتمل يحاولون تجنبه . ويجدُّون في خلق الظروف الموضوعية التي تساعدهم على تجنبه .

● ثالثا ــ اهداف الاقتراح :

بكلمة « برنامج » الواردة في عنوان هذا البحث نعني عددا من « التعابير الفنية » . فقد يكون البرنامج مقررا واحدا في قسم للعلوم

السياسة او القانون او التاريخ . كما انه قد يكون « برنامجا » يشمل عدة مقررات في قسم علمي واحد او في اقسام مختلفة يضمها « برنامج واحد » تنتج عنه شهادة في الدراسات العليا . كذلك قد يكون « البرنامج » مؤسسة او معهدا تخصص او يخصص لعلم الاستعمار الاستيطاني المقارن ، على نحو ماجاء به الاقتراح الذي تبناه الرفيق الامين العام للحزب وارسل الى وزارة الخارجية السورية لعرضه على جامعة الدول العربية عام ١٩٧١ والذي تطور على النحو الذي سنشير اليه في جزء « ثان » من هذا البحث .

ولاغراض التبسيط فانا سنفترض اننا في هذه الصفحات ندافع عن « ابسط الطروحات » ونعني بذلك اننا سندافع عن احداث مقرر في اقسام العلوم السياسية بالجامعات العربية . قولنا هذا لا يعني مطلقا ان تغيب عن اذهاننا « الاحتمالات الاوسع والاشمل » التي يتضمنها مفهوم الاستعمار الاستيطاني المقارن .

كذلك لابد من الاشارة الى اننا في مجمل ما نقوم به هنا فاننا انما ننظر الى النموذج الصهيوني بين نماذج الاستعمار الاستيطاني . فذلك النموذج هو الاساس الذي يعنينا ، ولولا انشغالنا بذلك النموذج لما كنا في معرض المحاولة التي نقدمها . وبالطبع يعرف تاريخ تطور العلم ، ولاسيما علوم السياسة وفي طليعتها العلوم السياسية ، نشأة وازدهار علوم ومفاهيم ومقررات مدرسية وبرامج مختلفة تقتضيها الحاجة السياسية او القومية او الاقتصادية. واذا كانت « الحاجة ام الاختراع » في شؤون كثيرة من شؤون الدنيا فبالاحرى ان تكون الحاجة ام الاختراع في تطور العلم ولاسيما العلوم الاجتماعية والانسانية ، تلك التي تدعى هذه الايام باسم « علوم السياسة » .

وللاقتراح الذي نقدمه في هذه الصفحات اهداف ثلاثة : علمية وقومية وانسانية .

ويتمثل الهدف العلمي في تطوير العلوم الاجتماعية والانسانية في العالم باتجاه مراقبة ظاهرة مهمة هي ظاهرة التفاعل بين توضع

استيطاني مرفوض اساسا بمواجهة محيط رافض له اساسا . نقول « اساسا » لان ثمة ظواهر قبول بالتوضع الاستيطاني ، رغم محدوديتها . تتمثل هذه الظواهر في اتفاقيتي كامب ـ ديفيد ، وفي معاهدة نكوماتي (بتاريخ ١٩٨٤/٣/١٦) التي اطلق عليها اسم « اتفاقية كامب ـ ديفيد الافريقية »(١) . ولا ريب ان تطوير العلوم الاجتماعية والانسانية في العالم بالاتجاه المذكور آنفا هدف علمي جليل . وفي مراقبتنا الاتجاهات الحديثة لهذه العلوم على الصعيد العالمي نتوقع مزيدا من الاهتمام العلمي الطبيعي (اي غير المخطط له على نحو خاص) بالكثير المشترك بين تجربتي الصهاينة في المنطقة العربية والبيض في المنطقة الافريقية . وهذا الاهتمام العلمي الطبيعي بالكثير المشترك بين التجربتين لابد الا ان يقود ، كما يقود العلم عادة، الى استخلاص اسس وقواعد وقوانين ترسي ماأسميه بـ « علم الاستعمار الاستيطاني المقارن » . وبالطبع لا ينحصر « علم الاستعمار الاستيطاني المقارن » بحقل اكاديمي واحد هو علم السياسة ، بل انه يشمل كل علوم السياسة Policy Sciences او بالتعابير المتداولة ، كل العلوم الاجتماعية وبعض اهم العلوم الانسانية .

واما الهدف القومي ، وهو هدف يخصنا من حيث اننا مناضلون في حزب الطليعة العربية ، حزب البعث العربي الاشتراكي الذي جعل مناهضة الصهيونية والوجود الصهيوني قاعدة مبدئية لنضاله، فمؤداه ان العالم كله ، فيما عدا نظام جنوب افريقيا ، يصف ذلك النظام بانه عنصري ، في حين ان النظام المماثل المغروس في ارضنا العربية ، وهو النظام الصهيوني ، لا يوصف عادة بانه عنصري الا من قبل العالمين الاشتراكي ـ والافرو ـ آسيوي . هذا التباين في النظرة ، ولا سيما منها النظرة الغربية ، الى ظاهرة واحدة هي

(١) ـ انظر : جورج جبور : « محاولة تصفية الرفض الاقليمي للاستعمار الاستيطاني » المستقبل العربي ، العدد ٦٩ ، السنة السابعة ، (تشرين ثاني ١٩٨٤) ، ص ٢٢ ـ ٤١ .

ظاهرة التوضع الاستيطاني في فلسطين وفي جنوب افريقيا ، يحدو بنا الى مضاعفة الجهد لكي نخلق علما ينفعنا في معركة مصيرنا القومي، علما مستحقا (Valid) كعلم ، يثبت ان التوضع الاستيطاني الابيض في جنوب افريقيا لايزيد عنصرية عن التوضع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، بل حقا ينقص عنه . وكلي يقين اننا ان لم نفعل ذلك فسيكون التغريب (Alienation) فعل فينا كل فعله ، فاخذ منا انفسنا ، وملك علينا عقولنا ، وتركنا نلهث وراء بريق الحداثة العلمية الغربية واتجاهاتها وما تدعيه من « حياد علمي » ازاء المصالح القومية .

الصهيونية التي يريد بعضهم الا نركز عليها في جهدنا العلمي ، كانت الموضوع الوحيد الذي كرس له برلمان اوستراليا يومه ، يوم ١٩٨٦/١٠/٢٣ ، فتفلسف في تبيان محاسن الصهيونية من تفلسف من نواب تلك الدولة التي لا اقصى منها عن جغرافية المنطقة العربية، ولا اناى منها عن هموم ابنائها وانشغالاتهم . ولم فعل برلمان اوستراليا ذلك ؟ لكي يرضي زائرا يزوره هو حاييم هرتزوغ ، فيقدم له على طبق من فضة قرارا من برلمان اوستراليا يطلب فيه من حكومة اوستراليا تأييد تحرك دولي هادف الى نصب مقصلة اعدام يعدم بها ـ ولاول مرة في تاريخ المنظمات الدولية ـ القرار رقم / ٣٣٧٩ / ، القرار الاول والوحيد الذي تعامل مع الصهيونية في كل تاريخ تعامل المنظمات الدولية مع القضية الفلسطينية ، بدءا من عام ١٩١٩ . بل ان الذكرى العاشرة لتبني الامم المتحدة القرار /٣٣٧٩/ كانت مناسبة كبرى لجهد صهيوني فكري اساسا هادف الى ارساء الاسس التي بالبنا عليها تقنع الامم المتحدة باعدام ذلك القرار في حد اقصى هو عام ١٩٩٠ .

واخيرا فان الهدف الانساني واضح بل هو الاوضح بين ماعددنا من اهداف . بخلقنا علما ينفعنا نحن العرب ، هو « علم الاستعمار الاستيطاني المقارن » فنساهم ليس فقط في توحيد الجهد العربي

مع الجهدين الافريقي والانساني المناهضين للعنصرية ، في تسريع ماأراه قدرا محتوما لكيانين مريضين بالسرطان ، بل ستدعى الى مائدة الآلهة من باب أعرض . يقول توينبي في **دراسة في التاريخ** مامؤداه ان اليهود مجموعة أناس تكاد تعصى على التاريخ . ولست خبيرا توينبيا ولست بالضرورة متبنيا آراءه سواء في هذا المعرض او غيره . فاذا تمثلت بقوله فلكي اشير الى أن ماتشهده فلسطين ليس بالامر العارض ، بل هو يفوق في أهميته الفكرية ماتشهده جنوب افريقيا حيث يستبين مع الفجر (المقبل) الخيط الاسود من الخيط الابيض . ماتشهده فلسطين يضع على عاتقنا تقديم نظرية ضخمة عن المسألة اليهودية (أو ماعرف باسم : اليودن فراغي) عبر التاريخ وحتى الان . نظرية متفتحة انسانية الطابع ، عالمية بعيدة عن التعصب الطائفي والديني ، بريئة مما أتت به مغامرة هرتزل الصهيونية في فلسطين من آثام وما سببته من الام بذريعة « حل المسألة اليهودية » .

هذه النظرية الضخمة من المسألة اليهودية ستكون بالضرورة العلمية ناتجا اضافيا (By - Product) لعلم الاستعمار الاستيطاني المقارن ، ناتجا اضافيا اذا احسنا صنعه فسنزود العلم في العالم على نحو ما كانته دائما أرضنا المشعة بالنور .

رابعا ـ خطة المقرر ومدته ومستواه :

لم يستفد المقرر المقترح من خبرة عملية واسعة ، فالتجربة الوحيدة التي خبرتها في تدريسه كانت في القاهرة مطلع عام ١٩٧٤ حين اعطيت مقررا في عشرين محاضرة خلال شهر واحد وجاء تدريس ذلك المقرر تنفيذا لواحد من قرارين اتخذهما معهد البحوث والدراسات العربية في اجتماع مجلس ادارته الثاني والثمانين بعد المئة (اوائل عام ١٩٧٣) .. اما القرار الثاني الذي لم ينفذ فكان تنظيم حلقة دراسية حول موضوع الاستعمار الاستيطاني بعد ان يتقدم قسما فلسطين وعلم الاجتماع في المعهد المذكور بتقارير عن الموضوع .

ثم كانت لي خبرات مختلفة في تقديم الاستعمار الاستيطاني من خلال حلقات درسية وبحثية محدودة أهمها حتما تلك التي اتاحها لي ، مطلع عام ١٩٨١ ، معهد الاستشراق في اكاديمية العلوم السوفييتية بموسكو ؛ وكان رئيسه آنذاك « المستشرق » الاكاديمي يفغيني بريماكوف .

وفي وقت من الاوقات ، أواخر عام ١٩٧٧ ، كان من المفترض ان اعقد حلقة دراسية (توقعتها الاغنى) عن الموضوع في مركز الدراسات الاستراتيجية بدار الاهرام بالقاهرة ، وكنت آنذاك اعمل في تلك المدينة استاذا ورئيسا لقسم السياسة في معهد البحوث والدراسات العربية . الا ان الحلقة الغيت في اللحظة الاخيرة بسبب اضطرارا المركز الى اعادة تخصيص الوقت المخصص لي لزائر مهم الى القاهرة آنذاك هو الامريكي الدكتور كيلمان المعروف باهتمامه بزيارة السادات الى القدس ونتائجها النفسية ـ الاجتماعية . ولم يعد المركز الى اثارة موضوع الحلقة الدراسية معي بعد الغاء توقيتها الاول لظروف واضحة .

ولدى جامعة الخرطوم خبرة غنية في هذا المجال . ففي دليل لجامعة الخرطوم بين يدي يلوح اسم المقرر في الدليل . وقد يعلم بعضكم ان جامعة الخرطوم هي التي مولت عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ طبع ونشر كتابي عن الاستعمار الاستيطاني بالتعاون مع مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت وان هذا الكتاب يدرس ككتاب تدريسي لذلك المقرر .

ورغم ان الاهتمام العلمي ينبغي ان يوجه لحقل « البحث » في موضوع الاستعمار الاستيطاني المقارن ، بما في ذلك انشاء مؤسسة متخصصة ، ليتفرغ فيها للقيام ببحوث بعض حملة الدكتوراه ، فان من الممكن ايضا استنباط نماذج تعطى كمقررات للسنوات الاولى والثانية والثالثة والرابعة في اقسام العلوم السياسية والاجتماعية والانسانية اما في حقل الدراسات العليا فثمة حاجة جدية الى مزيد من البحث العلمي المدقق .

ومن المناسب تأكيدنا على أهمية انشاء مؤسسة بحوث متخصصة بدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن ، ونقدم فيما يلي من البحث جهودا بذلت ضمن نطاق جامعة الدول العربية .

● خامسا : جامعة الدول العربية ومحاولة انشاء مؤسسة متخصصة بدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن :

كما ذكرنا في مطلع هذا المقال اولى الرفيق الامين العام للحزب عناية كبرى مبكرة ومستمرة لتعميق فهم التماثل البنيوي بين الصهيونية والابارتيد في اطار مفهوم الاستعمار الاستيطاني .

وفي هذا المجال فقد تبنى الرفيق الامين العام اقتراحا لصاحب هذه الاسطر ارسل في ١٤-١٠-١٩٧١ الى وزارة الخارجية السورية لعرضه على جامعة الدول العربية يتضمن « انشاء مؤسسة لبحوث الاستعمار الاستيطاني المقارن في العالم » (٢) .

وفي جامعة الدول العربية ثم في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (وتختصر اسمها بكلمة الكسو ونفضل لو انها اختارت اختصارا عربيا فلا تصبح عين العرب الفا بالعربية !) حاز الاقتراح

(٢) - نشرت القيادة القومية - مكتب الدعاية والنشر والاعلام سابقا (مكتب الاعلام والنشر حاليا) - نص هذا الاقتراح في الكراس العاشر من سلسلة التوعية السياسية وهو بعنوان الاستعمار الاستيطاني (انظر الصفحات ٨١ - ٩٤) من الكراس المذكور الذي نشر مطلع عام ١٩٧٦ وكتب مقدمته رئيس مكتب الدعاية والنشر والاعلام في القيادة القومية في الحزب بمناسبة صدور القرار ٣٣٧٩ بتاريخ ١٠-١١-١٩٧٥ الذي يعتبر الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري . ومما جاء في تقديم الكراس القول التالي : « على الذين ناضلوا من اجل اصدار هذا القرار واجب تقديم نظرية عربية متكاملة مقنعة (اي يمكن قبولها دوليا) حول عنصرية الصهيونية علمانية في مجملها ، اي لا يلعب فيها الدين اليهودي دورا مميزا خاصا . هذا الاساس هو ما يحاول ان يقوم به هذا البحث عن الاستعمار الاستيطاني » (ص ٥ - ٦ من مقدمة الكراس) .

عدة موافقات حتى خصص لانجاز برنامج (٣) مبلغ من المال . الا ان هذا المبلغ من المال سرعان ما سلم الى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الاهرام عبر « آليات » تثير الريبة . وسرعان ما قام المركز آنف الذكر . وهو « اهرامي السياسة والهوى » (طبعا !) بحرف المشروع عن غايته ، فاصدر كتابا من مجلدين عنونه بعنوان «**الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين**» لكن هذا الكتاب لم يتطرق باي حال الى صياغة نظرية عن الاستعمار الاستيطاني المقارن تأخذ فلسطين نموذجا كضحية لاستعمار استيطاني متقدم . وصدر هذا الكتاب في ربيع عام ١٩٧٥ . ومما يدل على ان الكتاب المذكور لم يحقق الهدف الذي من اجله كرس مال للبرنامج هو ان الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية سريعا ما وجه رسالة الى صاحب هذه الاسطر بعد فترة وجيزة من صدور الكتاب « الاهرامي » يرجوه فيها موافاته بالدراسات التي تبين التماثل البنيوي بين كيانات الاستعمار الاستيطاني

ونظرا فيما نقدر او كما يبدو لضآلة النتائج التي تم الوصول اليها في محاولة ١٩٧١ — ١٩٧٥ لانشاء مؤسسة متخصصة بدراسات الاستعمار الاستيطاني فقد عاد الرفيق الامين العام للحزب الى اثارة الموضوع عبر رسالة وجهها في — ٧ — آب ١٩٨٤ الى مؤتمر التضامن العربي مع النضال التحرري في الجنوب الافريقي . فقد جاء في رسالة الرفيق الامين العام الى ذلك المؤتمر ما يلي :

« ان الصفات المشتركة بين النظام العنصري الصهيوني في اسرائيل ونظام الابارتيد في جنوب افريقيا ، وتماثل اهدافهما واساليبهما العدوانية اضافة الى ما يربط بينهما من علاقات وثيقة تستدعي من العرب والافريقيين عملا مشتركا جديا ومؤثرا لمجابهة هذين النظامين . وهذا العمل المشترك يستدعي بالتالي منا جميعا مواقف محددة تترجم الى اعمال لانقاذ المنطقتين خاصة ، والبشرية

(٣) - برنامج لا « مؤسسة » . وكان الظن ان « ازدهارا » للبرنامج سيقود في مرحلة لاحقة الى جعله مؤسسة .

عامة من آفة العنصرية ، واحد جوانب هذا العمل المشترك هو ان نعمق بالدراسة ، وعبر مؤسسة مناسبة ، معرفتنا بالاستعمار الاستيطاني في المنطقتين العربية والافريقية »» .

وبنتيجة المداولات فقد قرر المؤتمر ما يلي :

« ٣ ـ **يطلب المؤتمر الى جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية** ، من خلال نظام التعاون بينهما ، **وبالتعاون مع حركات التحرر الوطنية في جنوب افريقيا وناميبيا وفلسطين ، دراسة ظاهرة الاستعمار الاستيطاني ، والتماثل البنيوي بين الصهيونية والفصل العنصري (الابارتايد)** ، والتعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

ويطلب ايضا من الهيئات اعلاه النظر في الوسائل والطرق الآيلة الى انتاج وتوزيع نتائج هذه الدراسات ، **بما فيها انشاء مؤسسة متخصصة ») .**

ولم تترك وزارة الخارجية العربية السورية الامر عند هذا الحد ، بل طلبت ادراج موضوع انشاء مركز لدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن على جدول اعمال مجلس الجامعة في دورته الخريفية لعام ١٩٨٤ (٤) وفي تلك الدورة اتخذ مجلس الجامعة قرارا من فقرتين هما :

« ١ ـ **ادراج الموضوع على جدول اعمال الدورة الثامنة للجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي لدراسة التوصية التي تضمنها بيان مؤتمر التضامن العربي مع الكفاح التحريري في الجنوب الافريقي .**

٢ ـ **تكليف الامانة العامة بمتابعة الموضوع وتقديم تقرير في مجلس الجامعة يتضمن نتائج دراسته من قبل اللجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي . »)**

ثم عقدت الدورة الثامنة للجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي،

---

(٤) ـ جريدة الثورة السورية ، ١٩ـ٩ـ١٩٨٤ .

وعقدت في دمشق ، بين ١٥ و ١٧ ـ١ـ١٩٨٦ ، ولم يكن « الموضوع على جدول اعمال » هذه الدورة . لم يكن على جدول الاعمال اما بقدرة قادر او بغفلة غافل ، والله اعلم (٥) . ولم استطع بعد ، ان اعلم ماذا جرى منذئذ ، ولا ادري ان قامت الامانة العامة بما كلفت به من « متابعة الموضوع وتقديم تقرير الى مجلس الجامعة يتضمن نتائج دراسته من قبل اللجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي » ، وهي اللجنة التي ، كما ذكرنا اعلاه ، لم تدرس الموضوع .

واذا كان انشاء مؤسسة او مركز لدراسات الاستعمار الاستيطاني واجه هذا التعثر عبر نحو من ـ ١٦ ـ عاما في نطاق جامعة الدول العربية فلا بد الا ان ننسب شيئا من هذا التعثر الى امرين هما : ١ ـ « التهيب » العلمي والسياسي الذي تشعر به الامانة العامة

---

(٥) ـ طلبت وزارة الخارجية ، عبر عدد من البرقيات ، من الوفد السوري الى الجامعة العربية في تونس ، ابلاغ الامانة العامة للجامعة ادراج الموضوع ، ولكن النتائج لم تكن ايجابية ولا مقنعة . واثرت الامر مع وزير الخارجية السوري فرأى ان توضع امام اعضاء اللجنة الدائمة للتعاون العربي ـ الافريقي محاضرة كنت القيتها بالانجليزية في اب (اغسطس) ١٩٨٥ امام المؤتمر الثالث عشر للجمعية الدولية للعلوم السياسية ، بعد ان تترجم الى كل من العربية والفرنسية .

وفعلا تولت الامانة العامة مهمة الترجمة ونشرت الترجمة العربية في مجلة المعرفة (الدمشقية الشهرية ، المجلد ـ ٢٥ ـ ، العددان ٢٨٩ ـ ٢٩٠ اذار نيسان ١٩٨٦) ص ٧ ـ ٣٢ . كذلك نشرت هذه الترجمة في جريدة السفير البيروتية بتاريخ ٢٤ و ٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٨٦ .

وبمناسبة عقد اجتماع اللجنة الدائمة للتعاون العربي ـ الافريقي بدمشق فقد القى صاحب هذه الاسطر محاضرة في اتحاد الكتاب العرب بتاريخ ١٣ـ١ـ١٩٨٦ بعنوان « العرب والافريقيون وهؤلاء المستوطنون » ، واثارت المحاضرة صدى لدى مركز الدراسات الفلسطينية في دمشق التابع لحركة فتح (الانتفاضة) فعقد المركز ندوة ، بعنوان « عنصرية الصهيونية ومفهوم الاستعمار الاستيطاني » قرئ فيها بحثان وقدمت ملاحظات متنوعة وصدرت بنتيجة الندوة توصيات نشرت في عدد كبير من الصحف والمجلات ، كما صدر بها تعميم من وزارة الخارجية السورية . عقدت الندوة بمناسبة اليوم الدولي للقضاء على العنصرية والتمييز العنصري في آذار ١٩٨٦.

للجامعة ازاء هذا المشروع الفكري ـ السياسي الضخم في امكاناته ،
٢ ـ المعارضة الغربية ، العلمية والسياسية ، التي يلقاها طرح فكرة القرن بين الصهيونية والاپارتايد . ولا ريب ان لهذه المعارضة اصداءها لدى مفكرينا .

ثم قد لا يكون من قبيل الحكم على الكل بالجزء ان قلنا ان احد اهم معايير نجاح جامعة الدول العربية وعائلتها من المنظمات ، فكريا واعلاميا وسياسيا ، هو انفتح على هذا النوع الرائد من الدراسات المتضمن في اقتراح انشاء مؤسسة لدراسات الاستعمار الاستيطاني المقارن .

● سادسا : ملاحظات ختامية : الحالة الراهنة للبحث العلمي في مجال الاستعمار الاستيطاني المقارن مع التركيز على النموذج الصهيوني :

في كتاب ظهر عام ١٩٨١ بعنوان النظام السياسي الاستيطاني : دراسة مقارنة : اسرائيل وجنوب افريقيا (٦) يذكر المؤلف في المقدمة « ان ظاهرة الاستعمار الاستيطاني ، وخاصة الدول التي شيدها المستعمرون ، لم تدرس دراسة كافية ولم تخضع لتحليل نظري متكامل . وتشمل المحاولات الحديثة نسبيا المتسمة بالتعمق على دراسات فان دين بيرج (١٩٦٧) وجورج جبور (١٩٧٠) وايمانويل (١٩٧٢) وابراهيم ابو لغد وبهاء ابو لبن (١٩٧٤) وريتشارد ستيفنز وعبد الوهاب المسيري (١٩٧٧) (٧) .

(٦) ـ للدكتور مجدي حماد (بيروت ، دار الوحدة ، ١٩٨١ . ٢٠٠ ص والكتاب في اسسه رسالة دكتوراه الى جامعة القاهرة ولم يذكر فيه العام الذي نوقشت فيه الرسالة او كتبت .

(٧) ـ م.س،ص ١١ . قارن مع سميح فرسون في مقالة بعنوان « جنوب افريقيا واسرائيل : علاقة خاصة » المنشور في شؤون فلسطينية (العدد ٤٧ ، تموز يوليو ١٩٧٥) ص ١٥١ ـ ١٧٧ . يذكر فرسون في ص ـ ١٦٤ :
« لم يدرس الاستعمار الاستيطاني والدول التي شيدها المستعمرون دراسة كافية ولم يحلل تحليلا نظريا (تشتمل المحاولات الاخيرة المتسمة بنفاذ البصيرة على

وتدل القائمة المذكورة اعلاه على ان الفترة منذ عدوان حزيران شهدت نشاطا علميا لا بأس بحجمه في مجال دراسات الاستعمار الاستيطاني . ولا ريب ان هذا النشاط جاء ، جزئيا على الاقل ، ردا على نكسة عام ١٩٦٧ من جهة ، واستجابة ايجابية للقرار ـ ٣٣٧٩ ـ من جهة ثانية ، ورصدا علميا حياديا مظاهره نمو التماثل البنيوي بين اسرائيل وجنوب افريقيا نتيجة التحول المتصاعد الذي تشهده اسرائيل باتجاه صيرورتها دولة « ابارتايدية » في سياساتها في الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة من جهة ثالثة .

ومما يلفت النظر في القائمة المذكورة اغفالها حدثين ثقافيين ـ سياسيين جديدين جدا جاءا حتما استجابة ايجابية للقرار ٣٣٧٩ :

١ ـ ندوة طرابلس بليبيا التي عقدت بين ٢٤ و ٢٨ ـ ٧ ـ ١٩٧٦ ، ونتج عنها انشاء « المنظمة الدولية للقضاء على جميع انواع التمييز العنصري » وهذه المنظمة التي تمركزت بين طرابلس ولندن اصدرت نشرات ودراسات قيمة جدا عن عنصرية الصهيونية خاصة ، وعن العنصرية عامة . ومجددا صار لهذه المنظمة مركز في جنيف .

٢ ـ ندوة بغداد التي عقدت بين ٨ و ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٧٦ ، اي بمناسبة الذكرى الاولى لصدور القرار ـ ٣٣٧٩ ـ ، وجمعت اعمالها في مجلدين ، وصدر تلخيص لاعمالها عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الاهرام في يناير ١٩٧٧ .

كذلك يلفت النظر في القائمة آنفة الذكر انها تغفل مصادر مهمة اشرت اليها في اقتراحي لعام ١٩٧١ مثل كتاب للدكتور فايز صايغ صدر عام ١٩٦٥ وكتابات وخطب اخرى له ، ومثل كتابات مهمة لكتاب سوفييت في طليعتهم جالينا نيكيتينا ويوري ايفانوف ، وكتاب لمفكر فرنسي معروف هو مكسيم رودنسون .

ب.ل. فان دون برغ ١٩٦٧ ، ١ . ايمانويل ١٩٧٢ ، جورج جبور ١٩٧٠ ، ابراهيم ابو لغد وبهاء ابو لبن ، ١٩٧٤) . هذا ولم يذكر الدكتور حماد مقال الدكتور فرسون كمرجع للفقرة المقتطفة .

ثم علينا الاشارة الى ما يلي :

١ ـ تزدهر في الاتحاد السوفييتي الدراسات عن عنصرية الصهيونية لا سيما بعد صدور القرار ـ ٣٣٧٩ ـ . ويعود مقدار كبير من الفضل في هذا الامر الى الرفيق يفغيني بريماكوف .

٢ ـ انضم الى قافلة دارسي « اسرائيل » كاستعمار استيطاني مفكر فرنسي معروف هو روجيه غارودي في كتابه قضية اسرائيل ـ الصهيونية السياسية (دمشق ، وزارة الثقافة ١٩٨٤ والاصل بالفرنسية) .

٣ ـ صدرت في سلسلة عالم المعرفة الكويتية جملة كتب اساسية وقيمة في فهم ظاهرة الاستيطان في الوطن العربي عامة ، والاستيطان الصهيوني خاصة نذكر منها على سبيل المثال كتاب الدكتور عبد الملك خلف التميمي (تشرين ثاني نوفمبر ١٩٨٣) وكتاب الدكتور امين عبد الله محمود (شباط فبراير ١٩٨٤) وكتاب ريجينا الشريف المترجم من الانجليزية (كانون أول ديسمبر ١٩٨٥) (٨) .

٤ ـ يعلن مركز « واشنطن ميدل ايست اسوسيتز » في تصدير كتيب عنوانه **الاحتيال على المقاطعة : اسرائيل وامريكا وجنوب افريقيا** (الصادر في شباط فبراير ١٩٨٦) ، وهو مركز يرئسه جيمس زغبي ، رئيس اللجنة العربية لمناهضة التمييز ، انشاء خدمة خاصة لتوفير المصادر عن التماثل البنيوي بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

---

(٨) ـ عناوين هذه الكتب الثلاثة هي بالتتالي :

ـ الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي : المغرب العربي ، فلسطين الخليج العربي ، دراسات تاريخية مقارنة ، ٢٦٦ ص .

ـ مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، ٢٩٦ ص .

ـ الصهيونية غير اليهودية ، جذورها في التاريخ الغربي (ترجمه الى العربية : احمد عبد الله عبد العزيز) ٣٠٢ ص .

بكلام آخر : يحاول هؤلاء العرب المتحمسون ان يقوموا الان بما حاولنا القيام به في هذا القطر قبل ـ ١٦ ـ عاما .

٥ ـ في هذا الجهد العلمي الدولي المزدهر والمتسارع في ازدهاره نفتقد ، وبالم كبير ، المساهمة المصرية ، تلك المساهمة التي كانت لا بد اتية لولا اتفاقات كامب ـ ديفيد وما تلاها من معاهدة واتفاق ثقافي مع العدو الصهيوني يحدد حرية البحث الاكاديمي المصري في المسالة الصهيونية .

كلمة اخيرة : يجدر بالقطر العربي السوري ، **وهو قلعة الصمود القومي العربي في هذا الزمن العربي الصعب ، يقوده في صموده حزب البعث العربي الاشتراكي الذي عالج دستوره في المادة ـ ١١ ـ مسالة الاستعمار الاستيطاني ، يجدر به القيام بجهد رائد في مجال دراسات الاستعمار الاستيطاني ، سواء بانشاء مؤسسة او معهد لهذا النوع المبتكر من الدراسات ، او ـ باضعف الايمان ـ احداث برامج تدريسية وبحثية في المعهد العالي للعلوم السياسية وفي جامعاته (وبالتحديد : كليات العلوم الاجتماعية والانسانية) توضح مقومات وابعاد علم الاستعمار الاستيطاني المقارن ، وتركز على النموذج الصهيوني لهذا الاستعمار ، وتقدم بذلك ذخيرة علمية ، مقبولة عالميا ، عن عنصرية الصهيونية ، ذخيرة يستطيع بها العرب اقناع العالم بضرورة الحفاظ على القرار ـ ٣٣٧٩ ـ الذي يساوي الصهيونية بالعنصرية ، بل ويزيد من تاييد العالم متمثلا في الامم المتحدة لهذا القرار الذي تشن الدوائر الصهيونية والامبريالية في العالم حملة هادفة الى الغائه في موعد اقصاه عام ١٩٩٠ (اي بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لاصداره) .**

سياسة القوة الأمريكية مسوغاتها وموقفنا منها

الرفيق ياسين سلمان

اكدت معطيات السبعينات « استنفاذ » أو « فشل » الاسلوب المتبع للاستعمار الجديد في مواصلة نهب واستغلال وتكبيل المستعمرات السابقة . وقد شهدت السنوات المنصرمة تحطم الكثير من الامال الامبريالية في تحويل هذه المستعمرات الى بلدان تحافظ على النهب الامبريالي ، وتسلك طريق التطور الراسمالي ، فتواجه هي بلدانها ، « النشاط الثوري » وتدعم « العالم الحر » « بدم جديد » .

فقد اثبتت التجارب ان هذه المستعمرات او البلدان لم تستطع رغم المحاولات الامبريالية المكثفة في بعضها، ان تقدم مثالا واحدا على السلوك الناجح لطريق التطور الراسمالي .. وفي تقويم اسباب هذا الفشل ترى دراسات رصينة كثيرة ان ذلك يعود ، اما لضعف بورجوازيات هذه البلدان وتبعيتها وعلاقاتها بالمراكز الامبريالية

والشركات المتعددة الجنسية ، او بسبب ضعف التمويل ، او ثقل مخلفات التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية السابقة .. الخ . وهذا الفشل المتلاحق ، رغم جميع الحقن ، ادى في نهاية المطاف بهذه الدول الى ان تغرق في دائرة المديونية ، والى ان يصبح دخلها القومي السنوي اقل مما تتطلبه خدمة هذه الديون ، فلقد بلغت ديون كل من المكسيك والبرازيل على سبيل المثال مئة مليار دولار حتى عام ١٩٨٦ ــ والبرازيل تعد من النماذج المتطورة للتحول الراسمالي في البلدان النامية ــ وبلغت ديون افريقيا ١٧٠ مليار دولار، وديون هذا العالم وصلت الى تريليون دولار .. وامام خطر الافلاس الذي يمكن ان تقع فيه هذه الدول ، كما اخذت تعلن مؤخرا ، تقوم المؤسسات المالية الامبريالية وباشراف الولايات المتحدة ، بعملية ابتزازية تطالب من خلالها هذه الدول بالتخلي عن منجزات الاستقلال ، وتوفير الظروف الملائمة اكثر فاكثر للاستثمار والنهب الامبريالي ..

مقابل هذا الواقع ، واقع تعقد الازمات المتلاحقة للانظمة الملحقة بالنظام الراسمالي العالمي ، اخذت تتصاعد **النشاطات الثورية بصورة ملحوظة في تلك البلدان لتستقطب فئات ديمقراطية واسعة من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة** ، تلك التي بدات تقتنع اكثر فاكثر بفشل الطريق الراسمالي للتنمية ، في واقع التطور غير المتكافيء بين اطراف النظام الراسمالي العالمي ، وبافضلية الطريق اللاراسمالي او الطريق الاشتراكي ..

وهكذا حملت نهاية السبعينات اعلانا صارخا بفشل طريق التطور الراسمالي في البلدان النامية ــ **العالم الثالث** ــ وافلاس اصحابه تماما . اللهم الا ضمن افاق محدودة جدا ، وفي اطار متخلف وتابع ، يدور في فلك التقسيم الراسمالي الدولي ، غير المتكافيء للعمل . وامام هذا التحدي الجديد ، الذي قذف به التاريخ في وجه الامبريالية ، وفي وقت اشتداد ازمتها العامة ، افرزت زعيمة

الامبريالية العالمية نظاما جديدا اشد خطرا على البشرية تجسد في تنفرة المجتمع الصناعي الحربي الى سدة الادارة الامريكية ، الذي اعلن فور وصوله تراجعه عن سياسة الانفراج الدولي ، واشهار قبضته في وجه العالم ، للحفاظ على ما اسماه « **مصالحه الحيوية** » فيه .

عبر عن هذا التحول الخطير وزير الدفاع الامريكي واينبرغر بقوله : « **اذا كان الانتقال من الحرب الباردة الى الانفراج تقدما ، فاسمحوا لي اذن بالقول اننا لانستطيع توفير المزيد من التقدم** » . وسرعان ما اخذت الولايات المتحدة الامريكية تخضع العالم لموجة جديدة من سباق التسلح ، وخلق مناخات اعتماد القوة في العلاقات الدولية .. في جو من اسقاط الاهتمام الظاهري بحقوق الانسان .

وقد تجسدت هذه « **اللغة العسكرية الجديدة** » بمناسبات كثيرة ، كانت ابرزها رسالة الرئيس الامريكي ريغان الى الكونغرس الامريكي باسم « **الحرية والامن الاقليمي والسلام العالمي** » التي تعلن باختصار عن حق الولايات المتحدة الامريكية باستخدام القوة والتدخل في اي مكان في العالم تشعر ان مصالحها مهددة فيه .. وهكذا يتضح من هذه الرسالة الترابط الوثيق بين النهج العسكري الجديد والعلاقات الاقتصادية .

ومن خلال الميدان التطبيقي ، سواء في لبنان ، او غرينادا او ليبيا ، او نيكاراغوا ، او الخليج العربي ، او تجاه سورية ، راحت زعيمة الامبريالية تنظر الى هذه السياسة ، بوصفها الوسيلة الاكثر فعالية للحفاظ على نظام الاستعمار الجديد ، واحراز مكاسب جديدة فيه ، تتجسد في تعميم نمط الحياة الامريكي ، واستمرار فرض الارادة الامريكية لحماية الاستثمارات الكبيرة والفوز بالاسواق الاستهلاكية الواسعة في مناطق العالم المختلفة .

من المفيد الاشارة هنا الى أن ما تنهبه الاحتكارات الامريكية من العالم يبلغ سنويا حوالي ٣٠٠ مليار دولار ، وهذا الرقم يوضح بحد

ذاته مسوغات اللغة العسكرية الجديدة في الميدان الاقتصادي ، والنشاط المترابط للعسكريين ورجال الاعمال ، تماما كما كان الحال لدى شركة الهند الشرقية الانجليزية في بداية العهد الاستعماري ، التي كانت سرعان ما تستبدل بلغة التجارة والكياسة الدبلوماسية لغة المدفع والبارجة في حال تعقد الصفقات التجارية ، او فوزاخرين بها في ميدان المزاحمة ..

ان هذه السياسة التي اصبحت تسمى في الادبيات السياسية بسياسة « **النيوغلوباليزم** » اي « **الاستيعابية الجديدة** » او « **العالمية الجديدة** » والتي تسوغ لدى مفكري الامبريالية الامريكية ، بضرورة استخدام القوة « لتقديم الدعم للقوى المناوئة للشيوعية في العالم الثالث » و « للدفاع الفاعل ضد الارهاب » و « التأكيد للاتحاد السوفياتي ان سياسته في السبعينات لايمكن ان يكتب لها النجاح »، ومن اجل تحقيق « هامش السلامة » في التسابق النووي .. الخ . هذه السياسة هي في الواقع لغة جديدة ترفع العصا في وجه العالم من أجل تسخيره لصالح ايقاف مسيرة التاريخ وفرض الهيمنة الامبريالية الامريكية وزج الطاقات البشرية في المواجهة الامبريالية الشاملة مع الاتحاد السوفياتي وقوى التحرر والتقدم في العالم ، ولو ادى ذلك الى دمار البشرية .

غير أن العالم ليس على درجة واحدة من حيث الاستعداد للانضواء تحت لواء هذه السياسة الامبريالية الجديدة .. وانطلاقا من هذا الاعتبار فقد وجدت الامبريالية الامريكية ان الشرق الاوسط يمكن أن يلعب دورا استثنائيا فريدا في تنفيذ سياسة القوة الامريكية على النطاق العالمي الشامل :

ـ فمن المعروف ان بواعث التعاون بين الامبرياليات الاصغر وزعيمة الامبريالية تكمن في وحدة المصالح غالبا ، فهذه الدول تحافظ من خلال هذا التعاون ، على مصالحها الاستعمارية الاستغلالية ،من خلال الحفاظ على الوضع غير المتكافىء في التجارة الدولية ، الذي تفرضه سيطرة الشريك الاقوى ، في الواقع الدولي « **الصعب** »

« القلق » ، « المتغير » ، كما انها تأمل ، باستعادة بعض مواقعها الاستعمارية المفقودة .. وهذه المشاعر تدغدغ بوضوح **احلام البريطانيين والالمان الاتحاديين والفرنسيين بصورة خاصة ..**

ولكن هذه العلاقة من التعاون الامبريالي صعبة ومعقدة ، **فالحلفاء الغربيون يريدون دائما « جزءا من الصفقة »** ، كما انهم مضطرون لمراعاة الديمقراطية في بلدانهم .. وهذا الواقع يقود الى اختلافات وصراعات وتباينات ، كمثل الخلاف القائم الان بين دول السوق الاوروبية المشتركة والامبريالية الامريكية بخصوص السقف الضريبي الامريكي المرتفع في وجه صادرات دول السوق .

ـ كما ان دول امريكا الوسطى والجنوبية ، **« الحديقة الخلفية للولايات المتحدة الامريكية »** . كما تسمى في أدبيات السياسة الامريكية ، اصبحت تنتقد بشدة آلية النهب الامبريالي ، وقد وصل الغليان الشعبي فيها الى حد الاشمئزاز من التدخل الامريكي الشمالي في شؤونها الداخلية ، والدفع باتجاه رفض سداد الديون المترتبة عليها الى البنوك الامريكية ، او صندوق النقد الدولي او البنك الدولي للانشاء والتعمير .. لم الالتزام اكثر فاكثر بالطريق الثوري للكفاح الوطني .. وهذا الواقع ينطبق ، بصورة ربما تبدو أقل وضوحا ، على مناطق واسعة في آسيا وافريقيا .

ـ دور الشرق الاوسط الاستثنائي في هذه الخلطة الامبريالية الامريكية الجديدة أتى ينبع من الاهمية الاستثنائية لهذه المنطقة ، باعتبارها تقع في وسط العالم وفي تقاطع مواصلاته البرية والبحرية والجوية ، وباعتبارها تحتوي على ثلثي الطاقة النفطية العالمية وكميات هائلة من المعادن الثمينة ، وكونها منطقة سباق على « البترو دولار » وعلى سوق استعمارية واستهلاكية واسعة .. وكذلك لقربها من الاتحاد السوفياتي ..

ذلك كله يجعل من الشرق الاوسط ـ والمنطقة العربية تحديدا **« عامل ضغط »** في السياسة الدولية ، يؤثر بهذا القدر او ذاك على

استقلالية القرار الاوروبي ، وعلى سير التناقضات التي تحكم العلاقة بين الامبريالية الامريكية والدول الغربية الصناعية الكبرى واليابان خاصة . كما يؤثر في مجمل النشاط السياسي في افريقيا وامريكا اللاتينية .. **حسبما تؤكد الادبيات السياسية لمرحلة ما بعد حرب تشرين ١٩٧٣ .**

هذا الدور المفصلي للشرق الاوسط في السياسة الدولية كان يوضع دائما في قلب اهتمامات الاستراتيجية الامريكية للسيطرة على العالم ، فما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى سارعت الولايات المتحدة لوراثة المستعمرات البريطانية وغيرها في المنطقة ، واخذت توسع امبراطوريتها العالمية بانتشارها العسكري والاقتصادي و « الامني » .. الخ .

ولكي لا تزول هذه الامبراطورية ـ انطلاقا من قول الجنرال الانكليزي ماهان عام ١٩٠٢ **« عندما تفقد بريطانيا سيطرتها على منطقة الشرق الاوسط ستزول امبراطوريتها »** ، قررت الولايات المتحدة البقاء الابدي في هذه المنطقة مستندة الى الحلم الصهيوني وحقيقة وجود « اسرائيل » ، ومخلوقات استعمارية تتجسد في انظمة عربية موغلة في الابتعاد عن روح العصر .

وفي صراعها مع حركة التحرر الوطني العربية ركزت الولايات المتحدة باستمرار على تقوية « اسرائيل » ، والحفاظ على نماذج عربية مطواعة تشكل الارضية التي يتحقق على اساسها التحالف الامريكي الاسرائيلي الرجعي العربي في مواجهة حركة التحرر العربية والعالمية .

وباختصار : فقد استطاعت الولايات المتحدة فرض **اتفاقية كامب ديفيد ، والحديث العلني عن الاجماع الاستراتيجي بينها وبين اسرائيل والرجعية العربية ، وخلق انظمة عربية خاضعة تماما لاملاء الارادة الامريكية ...** ان كان بسبب توقف حياة بعض هذه الانظمة

على المساعدات الامريكية ، او وقوع بعضها الاخر في قبضة العسكرية الامريكية المنتشرة فوق اراضيها ، او خوف البعض الاخر من التغيرات الثورية التي تدق ابوابها . .

هذا الطراز من « **الحلفاء** » او « **الزبائن** » هو ما تبحث عنه الولايات المتحدة الامريكية اليوم ، في زمن « العالمية الجديدة » ، فالحلفاء الغربيون ، كما سبق ، يريدون « جزءا من الصفقة » ، ولا يستطيع الحليف الامريكي املاء ارادته عليهم ضمن الظروف العدية .. كما ان الحلفاء الاخرين يحتاجون الى المزيد من الانفاق ، وهم ليسوا بمنأى عن الثورة .. اما هنا في الشرق الاوسط فالمسالة مختلفة تماما بوجود « اسرائيل » القلعة الحصينة الجاهزة وتحت الطلب ووجود هذه الانظمة التي يتربع عليها « اشخاص .. روائحهم كريهة ويسهلون النهب الامريكي » ، حسب تعبير جيف ماتان الخبير في مركز دراسات الخليج العربي بلندن .. هؤلاء الذين « يقبلون الاهانات » على الطريقة المصرية ، وينفذون ما يؤمرون به ، لا بل ويمول اغلبهم هذا التنفيذ وما يحيط به ..

ولهذا فقد قضت استراتيجية القوة في زمن العالمية الجديدة تحصين هذه الانظمة التابعة الخانعة من جهة ، والتوسع في خلق انظمة جديدة مشابهة على طريق تعميم منطق كامب ديفيد ، او استخدام الاسلحة والانتشار العسكري ، او التحضير للانقلابات العسكرية .. او استخدام منطق الارهاب العلني بحجة مكافحة الارهاب الدولي . الخ .. وفي اطار هذه الاستراتيجية وقع **الهجوم الامريكي الوحشي على ليبيا ، وفرض طوق الحصار الاعلامي والسياسي والاقتصادي على سورية** ، وتجري عملية التهديد والابتزاز بنشر البوارج الحربية الامريكية على نطاق واسع في البحر المتوسط وقبالة لبنان ، وتمارس عملية فك الحصار عن النظام المصري والتهيئة لعودته الى التضامن العربي حاملا معه

لواء كامب ديفيد .. وفي هذا الاطار ذاته **يخرب الوضع اللبناني ، وتستمر الحرب العراقية ـ الايرانية** . وينتعش بالتالي منطق الاجماع الاستراتيجي ..

وهكذا تستطيع الولايات المتحدة الامريكية تسخير هذا الواقع الاستثنائي ، في هذه المنطقة ذات الاهمية الاستثنائية العالمية ، من اجل اعادة سيطرتها وهيمنتها الاقتصادية و « **فرض النظام والانسجام داخل النظام الراسمالي بارغام الحلفاء للاصطفاف واداء التحية لزعيمة العالم الحر** » حسبما جاء في جريدة الراي العام الكويتية ٢١ ـ ٦ ـ ١٩٨٦ ... الامر الذي يفضي الى الزام هؤلاء الحلفاء بتحمل المزيد من الاعباء الاقتصادية والسياسية من اجل التوصل للتطابق مع استراتيجية القوة الامريكية وتجاوزاتها الفظة للقانون الدولي وشرعة الامم المتحدة ...

كما وتسخر الولايات المتحدة هذا الواقع من اجل المزيد من تحكمها بالرجعيات الملحقة بها ، ومن اجل تمويل آلتها وبرامجها العسكرية ، وانتشارها العسكري المواجه للاتحاد السوفياتي ولحركة التحرر والتقدم في العالم بشكل عام ..

من هذه الاهمية الاستثنائية للشرق الاوسط في الاستراتيجية الكونية الجديدة للامبريالية الامريكية ، **ينبع الدور الاستثنائي الذي يضطلع به حزبنا وثورته في القطر العربي السوري في مواجهة سياسة القوة الامريكية دفاعا عن الامة العربية وحركة التحرر العالمي بوجه عام .**

وبسبب هذا الدور الاستثنائي تشتد الضغوط الامبريالية الامريكية والصهيونية والرجعية العربية لتصب ، **مهما بدا انها متفرقة وغير مترابطة ، باتجاه حصار سورية واستنزافها وزعزعة استقرارها وشل قدراتها على مقاومة هذا الاتجاه الخطير في السياسة الدولية .**

ان هذا الدور الذي تلعبه سورية « كآخر معقل للرفض » حسب تعبير لوريان لوجور ٩ نيسان ١٩٨٦ لا يمكن ادراك مدى عظمته وتاريخيته الا اذا تصورنا مدى الكارثة التي يمكن ان تنجم عن اضعاف وتطويق هذا الدور ! انها باختصار : تعميم منطق كامب ديفيد ، وتحقيق الاجماع الاستراتيجي ، وتنفيذ مشروع مارشال العربي ، الذي اقترحه شمعون بيريز لاستثمار المنطقة على اساس اليد العاملة العربية والراسمال الغربي والتكنولوجيا الاسرائيلية . « وتحقيق ما عجزت عنه اسرائيل عسكريا ، من هيمنة لاسرائيل وتقوية المواقع الطفيلية والانهزامية العربيـة » ، حسب تعبير الازمنة الحديثة ــ نيسان ١٩٨٦ .

انها فرض الهيمنة والتواجد الامريكيين ، وتمزيق المزق العربية الى مزيد من التنف ، والقضاء على حركة التحرر العربية وعلى حلم الوحدة العربية والمجتمع العربي الاشتراكي الموحد . انها تعني تسخيرنا واموالنا وطاقاتنا وخاماتنا واراضينا لتضييق مساحات الحرية في العالم ، وفرض المنطق الامبريالي الامريكي في العالم الثالث وعلى الحلفاء والاعداء على السواء .

ان هذا التصور لمدى اهمية الدور الذي يقوم به القطر العربي السوري لا يتجاهل الحقيقة الموضوعية التي تنفي سياسة القوة في النهاية ، والتي تؤكد تصاعد فاعلية وتأثير حركة التحرر العالمي . وهو في الوقت ذاته لا يقلل من اهمية الدور الذي تضطلع به حركة التحرر العربي في هذه المواجهة .. غير ان القراءة المباشرة للوقائع والاحداث ، تشير وبوضوح الى ان تعطيل الدور السوري سيشل فاعلية اي طرف تحرري عربي وسيزيد من تناقضات اطراف حركة التحرر العربي وبالتالي تمزقها وانكفائها الى اجل غير معلوم .. الى ان تخلق معطيات جديدة بعد حين تستطيع فرض المعادلات المطلوبـة ..

ومن هنا فقد كان **دعم صمود القطر العربي السوري القاسم المشترك الذي يجب ان تلتقي عليه جميع اطراف حركة التحرر العربي والعالمي** ، بصرف النظر عن هذا الاختلاف او ذاك معنا او هذا التقويم او ذاك لمسيرتنا .. وهذا ما تؤكده الندوات والبيانات والمؤتمرات واللقاءات التي تتم بين اطراف حركة التحرر العربية والعالميـة ..

واذا كان هذا الدعم مطلوبا موضوعيا من ممثلي حركة التحرر والتقدم والسلام العالمي .. فكيف اذن على صعيد حزب البعث العربي الاشتراكي وجماهير القطر العربي السوري ؟!..

فالموقف الصامد المشرف لسورية دفاعا عن مستقبل الامة العربية وحركة التحرر فيها .. يستحق منا ان ترتفع الى مستواه سلوكا ومسؤولية ..

الارهاب الامريكي
وثـــائـق دامغـــة

الرفيق: عدنان مسلم

قال الامين العام للحزب الرفيق المناضل « حافظ الاسد » في خطابه التاريخي امام جماهير الطبقة العاملة في مؤتمرها الحادي والعشرين ١٩٨٦ :

« .. نحن ضد الارهاب . قلنا هذا في الماضي ، ونقوله اليوم . ولكن الارهاب شيء ، والكفاح الوطني ضد الاحتلال شيء آخر . نحن ضد الارهاب لا نمارسه ، ولا نسمح لاحد ان يمارسه انطلاقا من بلدنا ، ولكننا مع الكفاح ضد الاحتلال ، مع حركات التحرر الوطني للشعوب . هذا موقف مبدئي لن نحيد عنه ابدا .. » .

يعد الارهاب اداة من ادوات السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية عبر تاريخها الطويل . ويشكل طابعا خطرا على العالم كله وخاصة منذ تولي ادارة « ريغان » للسلطة .

ويظهر ذلك بشكل ملموس من خلال المؤشرات التالية :

اولا ـ مضاعفة النفقات الحربية الاميركية في ميزانية الدولة فهي قد بلغت عام ١٩٨٠ نحو ـ ٥ر٢٤٪ ـ بينما ازدادت الى ـ ٣٦٪ ـ في الخطة المقترحة لعام ١٩٨٥ .

وهي تعتبر ان ذلك كله ضروري من اجل امتلاك واستخدام الاسلحة الحادة المدمرة والمرهبة .

ثانيا ـ ممارسة الضغط السياسي والاقتصادي والابتزاز والعنف والعقوبات حتى على الحلفاء ، في غرب اوروبا واليابان وكندا واستراليا اي في المناطق التي تشكل مراكز منافسة لها .

ثالثا ـ نهب البلدان النامية والتحكم بها من خلال الديون والفوائد المتراكمة .

رابعا ـ استئجار المرتزقة وتجنيدهم وتسليحهم للقيام بالعمليات الارهابية في العالم . والانتقال من ذلك الى استخدام الارهاب كسياسة رسمية على مستوى الدولة (احتلال نيكاراغوا ـ قصف المدن في ليبيا ـ تهديد سورية بالاعتداء عليها ..) .

خامسا ـ نشر القواعد العسكرية الحربية الموجودة في اراضي اكثر من (٣٢) دولة في العالم حيث يوجد فيها بصفة مستمرة اكثر من نصف مليون عسكري امريكي ، وكميات لا تقدر من السلاح بما في ذلك الاسلحة النووية .

سادسا ـ استخدام القوات المسلحة الامريكية في قواعد ومطارات بعض البلدان العربية الرجعية مثل مصر وغيرها عند الحاجة .

سابعا ـ اقامة التحالف الاستراتيجي مع الكيان الصهيوني على مختلف الاصعدة .

ثامنا ـ عقد الاتفاقيات السياسية ـ العسكرية مع بعض البلدان مثل عمان والصومال وكينيا .. وتمكين القوات الامريكية من استخدام القواعد الحربية الوطنية الموجودة في هذه البلدان .

تاسعا ـ تهديدها المستمر للعالم من خلال التجمعات البحرية الحربية الكبرى الموجودة في حوض الاطلنطي وحوض البحر الابيض المتوسط التي تسمى بالاسطولين السادس والثاني اللذين يضمان اكثر من ـ ١٨٠ ـ سفينة حربية منها (٧) حاملات طائرات ضاربة، وما يصل الى (٥٠) غواصة ذرية وما يزيد عن ـ ٨٠٠ ـ طائرة حربية . اضافة الى اكثر من ـ ٨٠٠ ـ طائرة حربية وحوالي ـ ١٤٠ ـ سفينة حربية في المحيط الهادي و (٢٠) سفينة حربية ونحو (٢٠٠) طائرة في المحيط الهندي . التي تستخدم جميعها في العدوان والارهاب الدولي ضد الدول ذات السيادة وحركات التحرر الوطني .

عاشرا ـ تشكيل قوات الانتشار السريع التي تصل الى ـ ٤٠٠ ـ الف فرد ، ومشاة البحرية الامريكية التي تصل الى ـ ٢٥٠ ـ الف فرد ، هذه القوات التي تنتظر اشارة الارهاب الريغانية في جميع الاوقات .

ان تاريخ امريكا هو تاريخ حافل بالارهاب ، وسياستها الخارجية ، سياسة عدوانية توسعية ، استيطانية تعتمد على الارهاب ايضا .

ومن خلال هذه الشواهد نشير الى وقائع ملموسة لهذه السياسة الارهابية ، والتاكيد على ممارستها في العديد من دول العالم التي تنشد الاستقلال والسيادة .

❊ **ـ الاعوام من (١٩٤٥ الى ١٩٤٩)**: تدخل الولايات المتحدة

الامريكية في الصين الهادف الى عدم التمكين من انتصار الثورة الشعبية فيها وشارك في عملية التدخل هذه (١١٣) الف جندي امريكي وما يزيد عن (٦٠٠) طائرة حربية وما يزيد عن (١٥٠) سفينة ايضا .

❊ **ـ الاعوام من ١٩٤٦ الى ١٩٤٩** : نزول مشاة البحرية الامريكية والانكليزية في اليونان بمعدل (٥) آلاف جندي يدعمهم سلاح البحرية وما يزيد عن (٢٠٠) طائرة .

❊ **ـ عام ١٩٤٧** : نزول المشاة البحرية الامريكية في الباراغواي لقمع انتفاضة الشعب ، واقامة الحكم الديمقراطي . ونتيجة لذلك اقيمت دكتاتورية عسكرية في البلاد على اسنة الرماح الامريكية .

❊ **ـ الاعوام من ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣** : قيام نحو ـ ٩٠ ـ الفا من القوات المسلحة الامريكية بتقديم المساعدة الى الحكومة الرجعية في الفلبين في قمع الانتفاضة المسلحة التي قام بها كادحو البلاد .

❊ **ـ الاعوام من ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣** : الحرب العدوانية في كوريا حيث شارك في العمليات الحربية نحو ـ ٣٥٠ ـ الف جندي امريكي والف دبابة و ـ ١٦٠٠ ـ طائرة واكثر من ـ ٣٠٠ ـ سفينة وتميزت اعمال القوات الامريكية بقسوة بالغة واستخدمت النابالم، والاسلحة الكيميائية .

❊ **ـ عام ١٩٥٤** : التدخل المسلح في غواتيمالا من جانب المرتزقة الذين اعدتهم ودربتهم وكالة المخابرات المركزية ، يدعمهم الطيران الامريكي. وتمت نتيجة لذلك الاطاحة بالحكومة الديمقراطية برئاسة « اربينس » ، واقامة نظام الدكتاتورية العسكرية .

❊ **ـ عام ١٩٥٨** : نزول مشاة البحرية والقوات البرية الامريكية من الاسطول السادس الامريكي (نحو ١٥ الف جندي امريكي) الى لبنان . واعتداءاته على القوى الوطنية اللبنانية والمساهمة في قمع المظاهرات الجماهيرية اللبنانية ضد هذا التدخل الوقح .

* ـ **عام ١٩٦١** : محاولة التدخل المسلح من جانب المرتزقة الامريكيين في كوبا بهدف الاطاحة بالحكومة الثورية في منطقة « بلاي خيرونه » وشارك في العدوان ما يزيد عن (١٥٠٠) مجرم دربوا وسلحوا في امريكا ، و (٨٠) طائرة و (٢٥) سفينة حربية .

* **١٩٦٤** : نفذت امريكا ، وانكلترا ، وبلجيكا اعمالا عسكرية في الكونغو بهدف الاطاحة بالحكومة التقدمية ، وقمع حركة الشعب التحررية الوطنية هناك . وشارك في التدخل ما يصل الى (١٠) آلاف جندي و (٦٠) طائره .

* **١٩٦٤ ايضا** : التنكيل الدامي الذي قامت به القوات الامريكية ضد السكان المدنيين المسالمين في منطقة « قناة بنما » الذين طالبوا بازالة القواعد الامريكية في اراضي « بنما » وانسحاب القوات الامريكية واستعادة « بنما » لسيادتها .

* **الاعوام ١٩٦٤ ـ ١٩٧٣** : العدوان الامريكي المجرم على « فيتنام » واستخدام الطيران الاستراتيجي ، وقصف السفن للاهداف والمشروعات المدنيه ، ودارت رحى حرب الابادة باستخدام الاسلحة الكيميائية والنابالم ، والانواع البربرية الاخرى من الاسلحة حيث لحقت خسارة فادحة بالبلاد وسكانها واقتصادها وبيئتها الطبيعية ، ومازالت آثار وعواقب هذا العدوان الواسع النطاق تظهر في وقتنا الراهن ايضا .

* **الاعوام من ١٩٦٤ ـ ١٩٧٣** : الاعتداء الامريكي على «لاووس» بهدف تأييد ودعم الحكومة الرجعية في مكافحة جبهة التحرير « باتيت لاو » وشارك في العدوان اكثر من /٥٠/ الف جندي امريكي و ١٥٠٠ ـ طائرة و ـ ٤٠ ـ سفينة .

* **عام ١٩٦٥** : العدوان المسلح ضد جمهورية « الدومينكان » وتدخل جيش الاحتلال الامريكي البالغ قوامه /٤٠/ الف جندي امريكي تدعمه نحو ـ ٣٠٠ ـ طائرة و ـ ٥٠ ـ سفينة حربية بحجة

« حماية المواطنين الامريكيين » واغرقت مظاهرات جماهير الشعب في الدماء .

* **الاعوام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥** : قمع نضال شعب « كمبوديا » ضد النظام العميل . وشارك فيه ما يزيد عن /٧٠/ الف جندي امريكي و /٥٠٠/ طائرة و /٤٠/ سفينة من سفن الاسطول السابع الامريكي .

* **الاعوام ١٩٧١ ـ ١٩٧٣** : حدثت بالاشتراك المباشر من جانب وكالة المخابرات المركزية الامريكية انقلابات مضادة للثورات في كل من « بوليفيا » ، و « تشيلي » ، و « السلفادور » . وتمت الاطاحة بالحكومات الديمقراطية واستيلاء نظم فاشية على السلطة .

* **عام ١٩٨٢** : نزول (٨٠٠) من مشاة الاسطول الامريكي الى لبنان بحجة « اقامة السلام في الشرق الاوسط » وتمت زيادة تعداد هذا التجمع الى /٢٠٠٠/ جندي امريكي ، ومايزيد عن /٣٠/ سفينة امريكية قرب السواحل اللبنانية لضرب القوى الوطنية في لبنان ، اضافة الى ضربات الطيران الامريكي للسكان الامنين والهدف من ذلك كله هو تثبيت اقدام امريكا في لبنان وتحويله الى نقطة قوية للضغط العسكري على سورية وغيرها من البلاد العربية الاخرى .

* **عام ١٩٨٣** : العدوان المسلح على « غرينادا » والاطاحة بالحكومة الديمقراطية وانشاء قاعدة حربية في « غرينادا » .

* **الاعوام من ١٩٨٤ ـ ١٩٨٦** : الارهاب الاجرامي على العديد من البلاد العربية ، كضرب المفاعل النووي في العراق واقدام الاساطيل البحرية الى الشواطيء الليبية ، وضرب منزل الرئيس الليبي ، والعاصمة الليبية والسكان الامنين فيها ، واختطاف الطائرة الليبية التي تقل وفدا رسميا سوريا ، والفاق التهم لسورية بانها تستخدم الارهاب الفردي في دول اوروبا الخ ..

عدا عن انشاء « ادارة للعمليات السرية » من قبل وكالة المخابرات المركزية الامريكية منذ الستينات . حيث تفيد الصحف

الاجنبية انه يجري صرف مبالغ طائلة على اجراء مثل هذه العمليات ففي الانقلاب الذي وقع في « تشيلي » من قبل هذه الادارة بلغت نفقات هذا الانقلاب بالنسبة لامريكا بين (٧٠ – ٨٠) مليون دولار . كما بلغت نفقات عمليات التأثير على الاوضاع السياسية في ايطاليا بين (٣٠ – ٤٠) مليون دولار .

وبلغت المساعدة السنوية للمنظمات الارهابية في افريقيا (٢٠) مليون دولار . وليس ببعيد ان تكون من اعمال « ادارة العمليات السرية » مختلف حوادث الارهاب التي تجري بالآلاف في العديد من بلدان العالم . ان الولايات المتحدة الامريكية بسياستها الخارجية التي تكللت بزعامة «ريغان» تهدف الى السيطرة على العالم كله وهي كما اشرنا في البدء تستخدم الارهاب الدولي ، كأداة رئيسية في سياستها الخارجية في العالم بشكل عام ، وفي المنطقة العربية بشكل خاص ولعل اهمها :

اولا : محاصرة الاتحاد السوفييتي في حدوده الجنوبية والضغط عليه عبر هذه المنطقة .

ثانيا : التحكم بالموارد الاقتصادية للمنطقة ، واستخدامها للتحكم باقتصاد وسياسة الدول الغربية .

ثالثا : مد نفوذها عبر المنطقة الى الدول الافريقية والاسيوية .

رابعا : ضمان استمرار الكيان الصهيوني وضمان امنه باعتباره بشكل قاعدة متقدمة ، له وظيفة مهمة في استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة وجوارها .

خامسا : الحفاظ على الاوضاع في المنطقة وبخاصة على حالة التمزق والشلل والتخلف في الوطن العربي كضمان لقدرة الولايات المتحدة الامريكية في الحفاظ على مصالحها في المنطقة . ولقد لجأت الادارة الامريكية الريغانية لضمان تحقيق اهدافها في العالم وفي المنطقة العربية الى اتباع ما يلي :

آ – تقديم مساعدات عسكرية واقتصادية ضخمة للكيان الصهيوني وتغطية سياسية في كل المجالات والاعلان عن التزامها بضمان امنه في كل الظروف .

ب – توسيع وجودها العسكري في مياه المنطقة واقامة قواعد عسكرية في بعض دولها .

ج – لقد ادت هذه السياسة الى التورط العسكري الامريكي في عدد من مناطق العالم « لبنان ، غرينادا » ، التهديد بالتدخل في بعض دول امريكا الوسطى » وضد كل بلد او قوة تعارض وتقاوم سياستها والى جانب التورط العسكري المباشر ، فقد كثفت من وجودها العسكري والنشاطات العسكرية في المناطق الحساسة والملتهبة في المتوسط والبحر الاحمر ، والمحيط الهندي والخليج وامام سواحل دول امريكا الوسطى .

د – الخطوة الاخرى التي كانت ذات مغزى كبير وادت الى انهيار مباشر لحالة الانفراج الدولي ، اقدامها على نشر الصواريخ الاستراتيجية المتوسطة المدى والموجهة الى الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية وما تبع ذلك من ازدياد حدة التنافس في ميدان سباق التسلح الاستراتيجي في الفضاء الخارجي ، كما ادى الى وقف المباحثات حول الحد من الاسلحة الاستراتيجية .

ان مناداة القطر العربي السوري بقيادة الامين العام للحزب الرفيق المناضل « حافظ الاسد » بعقد مؤتمر دولي يحدد مفهوم الارهاب ويفرق بينه وبين النضال الوطني من اجل التحرر ، لهو اكبر واعظم تحد لسياسة امريكا ، وزعامتها ، التي تجعل من الارهاب نضالا ، ومن النضال ارهابا كيفما تشاء وحيثما تريد .

المواقف الاقليمية والدولية من حركة عدم الانحياز

الرفيق : د. أمين اسبر

الموقف الافريقي :

انعكس تأثير مؤتمر باندونغ على مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة ، فالمؤتمر الاول لهذه الدول (١) ، الذي انعقد في اكرا ما بين الخامس عشر والثاني والعشرين من نيسان ١٩٥٨ يمكن اعتباره امتدادا لمؤتمر باندونغ على الارض الافريقية ، وهذا ما يبدو واضحا من خلال البيان النهائي للمؤتمر ،ومن خلال قرارات المؤتمر التي اكد اولها المبادىء الاساسية لمؤتمر باندونغ ، كما صيغ احدها تحت عنوان **« السلام والامن الدوليان واحترام مبادىء ميثاق الامم المتحدة واعادة تأكيد مبادىء باندونغ » . كما طالب المؤتمر الافريقي الاول** الدول الكبرى بوقف انتاج الاسلحة الذرية والنووية وجميع التجارب النووية ، لامن اجل السلام العالمي فحسب ولكن كرمز لتمسكها بحقوق الانسان ، واقر مبدأ التعايش السلمي ، ونبذ التفرقة العنصرية(٢) .

ثم جاءت قرارات مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الثاني الذي عقد في اديس ابابا ما بين الخامس عشر والرابع والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٦٠ بحضور اعضاء جدد (٣) بالاضافة الى اعضاء المؤتمر

الاول تكرارا للقرارات التي اتخذها مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الاول مع التأكيد على « تدعيم السلام والامن العالمي وفقا لميثاق الامم المتحدة وقرارات باندونغ واكرا » ، وعلى « ان التقدم في نزع السلاح شرط جوهري لتخفيف حدة التوتر الدولي وتدعيم السلام » ، **وعلى تصفية الاستعمار من القارة الافريقية (٤) .**

وبالاضافة الى ذلك ، فان **ميثاق منظمة الوحدة الافريقية قد نص** في فقرته السابعة من المادة الثالثة على : « تأييد سياسة عدم الانحياز تجاه جميع الكتل » . كما انعكس مبدأ التعايش السلمي على الميثاق اذ تضمنت الفقرة (هـ) من المادة الثانية : « تشجيع التعاون الدولي » وتأكد ذلك في الفقرات الاربع الاولى من المادة الثالثة من الميثاق اياه في حين تعهدت الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية بتسوية جميع المنازعات بصورة سلمية .

موقف الاتحاد السوفييتي :

لم يكن موقف الاتحاد السوفييتي من البدايات الاولى لحركة عدم الانحياز يرقى الى مستوى ايجابي كبير ، وذلك بسبب نظرة الشك من وجود الزعيم اليوغسلافي تيتو ضمن اقطاب الحركة ، بالاضافة الى ان بعض القادة الوطنيين لبلدان العالم ، كانوا اقرب في النتيجة النهائية الى الغرب ثقافة وتفكيرا .

الا ان هذا الموقف سرعان ما تبدل **بعد وفاة ستالين وازدياد الاتحاد السوفييتي ثقة بنفسه** ، بعد ان احرز تقدما ملموسا على الولايات المتحدة الامريكية والغرب في مجال غزو الفضاء ، وعلى صعيد القانون الدولي، اذ استطاع تثبيت مبادئه الاساسية في التعايش السلمي ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها في اطار منظمة الامم المتحدة . ويمكن اعطاء صورة عن موقف الاتحاد السوفييتي من سياسة عدم الانحياز من خلال معاهدة الصداقة والتعاون بينه وبين الهند ، المعقودة في ٩ آب (اغسطس) ١٩٧١ ، اذ نصت على ان **« الاتحاد السوفييتي يحترم سياسة عدم الانحياز التي تطبقها الهند ،** ويؤكد مرة اخرى ان هذه السياسة تشكل عاملا مهما للحفاظ على

السلام العالمي والامن الدولي والتخفيف من حدة التوتر في العالم(٥) .

ويرى البعض ان استجابة الاتحاد السوفييتي المتعاطفة والمؤيدة لسياسة عدم الانحياز ، قد ادت الى بلورة دور الدبلوماسية السوفييتية في التوسع في بذل المعونات الاقتصادية والمساعدات الفنية لهذه الدول بتسهيلات كبيرة لتمكينها من تطوير اقتصادياتها الوطنية ، وفي هذا قيل ، وعلى اعلى المستويات داخل الحزب والحكومة ، **ان للاتحاد السوفييتي قدرة واسعة على تفهم واجباته الدولية كدولة اشتراكية** ، وان هذا الواجب كان يتلخص اساسا في امداد الدول الحديثة العهد بالاستقلال والتي لم تندمج بعد في النظام الاشتراكي العالمي ، بالمساعدات ، نظرا لما كانت تساهم به هذه المساعدات في تثبيت الاستقلال السياسي والاقتصادي لهذه الدول (٦) .

ان تتبع الادبيات السوفييتية يوضح ان اعلان باندونغ من اجل السلام يتفق ومانادى به لينين، كما انه قد عدل في المناخ الدولي ،وعجل في يقظة الوعي الوطني ، (٧) وان حركة عدم الانحياز يمكن ان تلعب دورا متزايدا في السياسة الدولية من اجل توطيد السلام والامن الدوليين ، واقامة نظام اقتصادي واعلامي دوليين جديدين قائمين على العدل والتكافوء وفي سبيل القضاء على الاستعمار الجديد والعنصرية بسائر اشكالها .

وفي مقال نشرته مجلة السياسة الدولية (٨) يوجز تشيشرو المراحل التاريخية التي مرت بها حركة عدم الانحياز فيذهب الى ان حركة عدم الانحياز هي ظاهرة حيوية عاشت وغيرت في العلاقات الدولية المعاصرة فاعوام الستينات تمثل بزوغ الحركة حيث اتخذت شكلها وحددت اهدافها واعوام السبعينات ومنتصف الثمانينات تميزت ببعض التغيرات في حركة عدم الانحياز التي عكست التطور العام في اطار الامم النامية التي صعدت الى المسرح اذ عرفت الحركة خلال السبعينات تزايدا عدديا واكتسبت تحركا نوعيا من حيث انها تشمل اليوم ثلثي اعضاء المجتمع الدولي، وخلال هذه الفترة فان العلاقات بين بلدان عدم الانحياز والبلدان الاوروبية المحايدة لم تنقطع عن التواصل .

وعلى الصعيد الرسمي فان الاتحاد السوفييتي لا ينظر الى حركة عدم الانحياز على ضوء العلاقات بينه وبين الولايات المتحدة الامريكية او بين معاهدة وارسو والحلف الاطلسي ، او بين الشرق والغرب عموما ، ذلك انه يرفض القاء مسؤولية متساوية على عاتق الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة عن التوتر القائم في العلاقات الدولية واظهار التوتر وكانه نتيجة لتنافس القوتين الاعظم من اجل النفوذ في العالم .

وبالتالي فان الاتحاد السوفييتي وبلدان المنظومة الاشتراكية يرون ان محاولة الغرب وبعض الدول الموالية له المساواة بين « القوتين الاعظم » امر يحد من قدرة حركة عدم الانحياز على معاداة الاستعمار ويضر بالتعاون بين الحركة وبين البلدان الاشتراكية لحل مشاكل العصر الراهنة ، وتأسيسا على ذلك فالبلدان الاشتراكية ترى نفسها انها اقرب ما تكون الى اهداف حركة عدم الانحياز ، انطلاقا من ان برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي ووثائق اللجنة السياسية الاستشارية للدول الاعضاء في معاهدة وارسو يدعمون النضال العادل لبلدان عدم الانحياز ضد القوى الامريكية (٨) .

وخلال المباحثات التي دارت في موسكو خلال عام ١٩٨٥ ، بين القادة السوفييت والشخصيات الحكومية في عدد من البلدان غير المنحازة ومنهم **راجيف غاندي رئيس وزراء الهند ولي زوان الامين العام للحزب الشيوعي الفيتنامي وميلكا بلاينتس رئيسة الحكومة اليوغوسلافية نوه الجانب السوفييتي الى المساهمة المتنامية لحركة عدم الانحياز في تحسين الوضع الدولي وازالة خطر الحرب وتوطيد التعاون المتكافيء بين الشعوب .**

موقف الولايات المتحدة :

اتسم موقف الولايات المتحدة الامريكية من حركة عدم الانحياز منذ البداية بالعداء والسلبية ، فوزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية جون فوستر دلاس هاجم سياسات عدم الانحياز وزعم بانها « **انتهازية** » و « **لا اخلاقية** » وانها ، على حد قوله مظهر من

مظاهر الضغط والابتزاز الدولي الذي تمارسه مجموعة الدول الافريقية والاسيوية ضد الكتلتين المتنازعتين، ودوائر وزارة الخارجية الامريكية اتهمت الهند والزعيم نهرو بأنه خرج من ولاية للكومنولث ، ووقع تحت تاثير الشيوعية الدولية .

الا ان ترسخ حركة عدم الانحياز باعتبارها اصبحت تشكل عاملا ثابتا من عوامل التاثير في السياسة والعلاقات الدولية قد اضطر الولايات المتحدة الامريكية الى انتهاج اسلوب جديد يقضي بالعمل من داخل الحركة **على حرف مسارها عن الاهداف التي وجدت من اجلها** وصرف النظر عن التناقضات الاساسية والرئيسية بين حركة عدم الانحياز من جهة وبين الاستعمار والامبريالية والعنصرية من جهة ثانية ، **الى تناقضات هامشية وثانوية بين بلدان حركة عدم الانحياز نفسها .**

وبالاضافة الى ذلك تسعى الولايات المتحدة الامريكية الى التقليل من الاهمية السياسية لقرارات قمة حركة عدم الانحياز دون ان تكف يوما عن استخدام سائر الضغوط على الحركة كيلا تتخذ قرارات تدين السياسة الامريكية . ويكفي ان نشير بهذا الصدد الى اخر هذه الامثلة عندما قررت ادارة الرئيس الامريكي ريغان حجب المساعدة المالية وقدرها ــ ٥ر١٢ ــ مليون دولار والتي كان مقررا تقديمها لزيمبابوي هذا العام ، نتيجة لخطاب رئيس وزراء هذه **الدولة روبرت موغابي ،** اثناء افتتاح مؤتمر القمة الثامن في عاصمة بلاده ، والذي اتهم فيه السياسة الامريكية بالغطرسة وانتهاج سياسة عدوانية .

والواقع ان قرارات حركة عدم الانحياز كانت دوما موضع نقد شديد وهجوم من الولايات المتحدة ، فخلال قمة نيودلهي ١٩٨٣ وصف الناطق باسم الخارجية الامريكية قرارات القمة بانها « **غير متوازية ومثيرة للجدل ولا تعبر عن مبادىء عدم الانحياز » واضاف** « ان التهجمات غير العادلة على الولايات المتحدة وغياب الانتقادات الموجهة الى الاتحاد السوفييتي تسيء الى صدق اعلان نيودلهي وتظهر واقع كون العناصر الراديكالية في حركة عدم الانحياز لا تزال قادرة على تحريك هذه المنظمة » .

وخلال مؤتمر قمة هراري الاخير اصدر الناطق الرسمي باسم الخارجية الامريكية تصريحا مماثلا ، اذ قال ان « **النقد الشديد الذي يوجه لها (اي للولايات المتحدة)** في مؤتمر دول عدم الانحياز **هو تكرار لاتهامات لا اساس لها من الصحة ، وانه توجه هجومي وغير بناء ويؤدي الى طرح اسئلة اساسية حول موضوعية حركة عدم الانحياز ، وكونها تنطلق من مواقف سياسية محدد » (٩) .**

ولقد تنبه الى محاولات السياسة الامريكية قادة وزعماء حركة عدم الانحياز مما دفع بعضهم الى تفسير مبادىء الحركة سواء من خلال التصريحات الرسمية ، ام من خلال قرارات مؤتمرات القمة نشير من بين ذلك على سبيل المثال ، لا الحصر ، الى ما قاله **الزعيم الراحل جمال عبدالناصر :** « نحن في العلاقات مع الامبريالية لسنا غير منحازين وانما نحن اعداؤها المنحازون ضدها » . والى ما قاله **الرئيس الجزائري هواري بومدين** لقد اتخذت الامبريالية تسعى الى تخريب حركتنا من الداخل بمحاولة اثارة نفسخات عقائدية باي ثمن ، وتحريك اعضاء حركتنا ضد بعضهم بعضا » .

موقف الهند :

كنا اشرنا الى ان الهند قد لعبت الدور الاساسي في ولادة حركة عدم الانحياز ، وان سياسة « اللاعنف » التي دعا اليها غاندي تشكل الخلفية الفكرية للحركة ، وقد بقيت الهند وفية لمبدأ عدم الانحياز واتخذت منه حجر الزاوية لسياستها الخارجية .

ان عدم الانحياز بالنسبة لفلسفة غاندي ونهرو مفاده احترام مميزات وشخصية الامم الاخرى ، « وهي تعترف لها بحقوقها ، كما تعترف بحقوقنا ، في اختيار نظامها الاقتصادي والاجتماعي الخاص ، وتمشيا مع الفكرة ذاتها ، فهي تبيح التعاون الكريم والمفيد بين الامم . ان مبادىء التعاون السلمي الخمسة والمبادىء العشرة التي تمت صياغتها في باندونغ والتي جعلنا منها دليلا لعلاقاتنا مع الامم الاخرى ، قد دعمت الصبغة التلقائية لعدم الانحياز ولم يكن عدم الانحياز بالنسبة الينا ، ابدا سياسة تساوي المسافات او الحياد ، بل هو

شيء لا متناهي الايجابية وحيوي ، وسامي . فعدم الانحياز يمكننا من مساندة تصفية الاستعمار ومن دعم حركات التحرر ، واتخاذ مواقف مبدئية حول القضايا التي تواجه العالم » (١٠) .

وانطلاقا من الحاجة الماسة لمعرفة الذات ، تتلخص مبادىء عدم الانحياز بالنسبة للهند والاولويات الجديدة التي تترتب على هذه المبادىء نتيجة توسع الحركة ورسوخها ، فيما يلي :

١ – « ان عدم الانحياز ، بغض النظر عن الامم المتحدة التي تساندها ، تسعى الى الحفاظ على السلام العالمي وتشجع الانفراج الاممي . ومن بين اهدافها ، **العمل على التخفيف المستمر من مظاهر الارتياب الخاصة بالحرب الباردة ، وحل التحالفات العسكرية للقوات العظمى ، والقواعد العسكرية الاجنبية وخلق الاحوال التي من شانها ان تسهل نزع الاسلحة العادية والنووية في العالم .**

٢ – ان عدم الانحياز سيظل معارضا بشدة للامبريالية والاستعمار بنوعية القديم والجديد ولكل مظاهر العنصرية ، والسيطرة والهيمنة . والاستقلال **يساند حركات الوطني ويجب ان يجتهد في الحفاظ والتشجيع على احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية حيثما كانت .**

٣ – يقتضي عدم الانحياز احترام السيادة ووحدة التراب الوطني وامن جميع الامم بالاضافة الى ممارسة حقها في ابداء الراي وفي التحرك . ونظرا لهذا الاحترام وهذا الانضمام الى مبادىء التعايش السلمي بين نظم اجتماعية واقتصادية شتى ، فان الحركة في وسعها ان تكون عنصرا بعيدا عن الكتل وفعالا على مستوى الشؤون الدولية .

٤ – يسعى عدم الانحياز جاهدا الى ايجاد التوازن بين ازدهار الشخصية الوطنية المبنية على العبقرية والتراث الثقافي لكل امة وبين المنطق الحتمي لتداخل الامم والتعاون بينها ، ويعترف بنصيب المجهودات الوطنية في حل المشاكل الوطنية المتصلة بالتطور والتنمية والامن . وفي الوقت نفسه يسعى عدم الانحياز الى خلق مناخ دولي

يتماشى فيه ارضاء الحاجات الوطنية مع تصحيح خلل التوازن الدولي .

٥ – ان هذه المبادىء والاهداف قد ساقت حركة عدم الانحياز الى الالتزام بحزم ، ازاء اقامة نظام اقتصادي دولي جديد من شانه ان يسد شيئا فشيئا الهوة التي تزداد عمقا ، والتي تفصل بين البلدان المتطورة صناعيا والبلدان النامية ، والقضاء على الفاقة والمرض والجوع والامية ، وبواسطة برنامج تعاون مشترك ، فمن واجب الحركة ان تضع روابط التكامل بين البلدان النامية بصفة عامة ، وبين بلدان عدم الانحياز بصفة خاصة ، لتشجع بهذه الصورة وفي آن واحد ، **الاستقلال الذاتي الوطني والجماعي** ، الذي سيساهم بدوره في حل المشاكل التجارية والاقتصادية بين الامم .

الموقف العربي السوري :

شاركت سورية في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ ، ثم في مؤتمر قمة بلغراد، اذ كانت تشكل الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ولعب الزعيم الراحل عبد الناصر في ذلك المؤتمر دورا اساسيا وكان همه الشاغل محاولة **اذابة الجليد بين الدولتين الكبيرتين** واقترح على دول عدم الانحياز ان تحاول ترتيب مؤتمر قمة بين كنيدي وخروشوف كما اقترح ايضا ايفاد مبعوثين الى الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبالفعل فقد تقرر ايفاد سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا وموديبو كيتا رئيس جمهورية مالي الى البيت الابيض ، **بينما تقرر ايفاد نهرو رئيس وزراء الهند ونكروما رئيس جمهورية غانا الى الكرملين(١٢)**

وبعد قيام ثورة الثامن من اذار عام ١٩٦٣ توالت قرارات **القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي** مؤكدة التمسك بمبدأ عدم الانحياز وحسبنا ان ندلل على ذلك بما أقره المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث في مجال السياسة الخارجية بالنسبة لحركة عدم الانحياز ، اذ ورد التالي :

« دعم وتعزيز حركة عدم الانحياز وتطويرها بما ينسجم مع

المرحلة الراهنة في الاوضاع الدولية ، وعلى اساس مقاومة الصهيونية والامبريالية والعنصرية وجميع اشكال التمييز في العلاقات الدولية والتصدي للعدوان ودعم القوى التي تتصدى لـه ، وكذلك تنشيط الجهود في الحركة من اجل الاستمرار في دعم الموقف العربي ومساندة العرب في نضالهم العادل وعزل العدو الاسرائيلي واتخاذ القرارات بهذا الشأن ، بما في ذلك تطبيق العقوبات باشكالها المختلفة ضد الكيان الصهيوني وتطوير العلاقات والتعاون مع دول هذه الحركة في المجالات الثنائية » (١٣) .

ولم يأل الرئيس المناضل حافظ الاسد جهدا في دعم وتعزيز الحركة داعيا الى التضامن والتماسك بين الدول الاعضاء ضد ما يبيته لها اعداؤها :

« ان في مصلحة اعداء الشعوب ان ينسفوا حركة عدم الانحياز من داخلها باغراء بعض اعضائها واثارة الخلافات في صفوفها ، ونحن في مقدمة القائلين بوجوب الحفاظ على تضامن بلدان عدم الانحياز وتماسكها ، ولكن ذلك يجب ان يتم على اساس المبادىء والالتزام بها لتحول بذلك دون ان يتسلل اعداء الحركة الى صفوفها » . (١٤)

وعلى هذا الاساس ، فقد ارتسم الموقف السوري من اتفاقات كامب دافيد ومعاهدة الصلح المصرية ـ الاسرائيلية في بعدها الدولي على انها خروج مطلق على مبادىء حركة عدم الانحياز ، ذلك ان مؤتمرات قمة الحركة سيما المؤتمر الخامس منها ، قد قررت ان « اسرائيل »هي نظام عنصري ، وان الصهيونية شكل من اشكال العنصرية والتمييز العنصري ثم ان اتفاقات كامب دافيد قد نقلت مصر من دورها الطليعي بالنسبة للامة العربية ولبلدان عدم الانحياز وبلدان العالم الثالث ، الى دور مناقض تماما ، عندما اصبحت في خندق « اسرائيل » التي كان مؤتمر القمة السابق قد طالب اعضاءه بقطع علاقاتهم السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية مع « اسرائيل » انطلاقا من ان استمرار عضويتها في المنظمة الدولية يتعارض مع ميثاق

الامم المتحدة ويشجعها على التواطؤ مع الانظمة العدوانية والعنصرية والتوسعية (١٥) .

ان متابعة خطب الرئيس السوري في مؤتمرات قمة عدم الانحياز يقودنا الى وضع الفهم السوري للحركة على الاسس التالية :

«ان الحرية والسلام والتعاون هي ابرز سمات حركة عدم الانحياز »(١٦) .

وهذه المبادىء الثلاثة تشكل بالفعل جوهر مبادىء الحركة منذ نشاتها

« ان تزايد عدد البلدان الاعضاء للحركة هو في حد ذاته مؤشر الى ايجابية الحركة وبرهان على ان شعوب العالم تجد فيها اطارا لكفاحها ضد الامبريالية والاستعمار وضد كل اشكال العنصرية بما فيها الصهيونية ، وضد القهر والاستغلال » .

ومقومات السلام بالنسبة لنا ، نحن العرب ، تقوم اقليميا على تحرير الاراضي العربية المحتلة ، وتأمين حق الشعب العربي الفلسطيني في العودة الى ارضه ، وتقرير مصيره واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني .

اما السلام والامن الدوليان فقوامهما نزع السلاح التام والشامل وازالة جميع القواعد العسكرية وسحب القوات الاجنبية من اراضي البلدان الاخرى ، وتوفير اسس التعايش السلمي والانفراج الدولي .

« ان السلام والامن في العالم لا يتجزان ، ان الامن الاوروبي مرتبط بامن البحر الابيض المتوسط ، وبالامن والسلام في الشرق الاوسط ، وكذلك الحال في بقية مناطق العالم » . (١٧) .

السمة الثالثة لحركة عدم الانحياز هي التعاون ويشمل بلدان عدم الانحياز فيما بينها بحيث توسع تعاونها الاقتصادي والفني ، ثم التعاون فيما بين دول الحركة وبلدان العالم الثالث لاعادة تشكيل العلاقات الاقتصادية الدولية ، واقامة نظام اقتصادي عالمي جديد .

اما الوسيلة لتحقيق اهداف الحركة فهي منظمة الامم المتحدة .

« نحن نتمسك بالامم المتحدة كافضل مكان للعمل السياسي من اجل السلام ، وفي مقابل تجاهل الاخرين للامم المتحدة ودورها ، ينبغي ان نتمسك بالامم المتحدة ونعمل على تقوية دورها ، لاننا بهذا نحقق المناخ الافضل لمعالجة قضايا العالم . وبالاخص قضايا شعوب عدم الانحياز والعالم الثالث » . (١٨)

وعلى ضوء **التجربة النضالية لسورية العربية** ، فان اعداء حركة عدم الانحياز هم الطرف الذي يناهض الحركة وما تتخذه من مقررات ، ويتمثل هذا الطرف في العنصرية بجميع اشكالها ، وفي سياسة الولايات المتحدة الامريكية .

« ان الصراع هنا (في منطقة الشرق الاوسط) ليس بين العرب واليهود ، ولابين المسلمين واليهود ، انه بين العرب والعنصرية الصهيونية » (١٩)

ولكن هذا الصراع لايعني العرب وحدهم ، انه يجري في المنطقة العربية على اعتبار انه يقوم بين العرب من جهة وبين الصهيونية العنصرية ودولتها «اسرائيل » من جهة ثانية ،ولكنهيهم العالم اجمع . لماذا ؟؟ « لان الصراع هو بين الفكر العنصري ، وما يفرضه من ممارسات عدوانية ، **وبين الحرية والفكر التحرري ومايقتضيه من ممارسات نضالية » (٢٠)**

« ان الصراع في المحصلة هو بين **الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية من جهة ، وبين كل اعداء العنصرية في العالم » (٢١)**

وانطلاقا من ذلك فقد ايدت سورية العربية حركات التحرر الوطني في الجنوب الافريقي ضد **نظام الابارتايد**، ولم تتوان يوما عن توضيح العلاقة الوثيقة بين النظامين العنصريين في كل من «اسرائيل» وجنوب افريقيا ، وسورية هي من البلدان القليلة في العالم التي لم تقم بينها وبين نظام جنوب افريقيا اي نوع من انواع العلاقات الدبلوماسية او الثقافية او الاقتصادية . « ان النظام العنصري **الصهيوني في («اسرائيل») هو صنو نظام الابارتهايد في جنوب افريقيا(٢٢)**

ان الخطر الاخر الذي يحول دون تحقيق اهداف ومقررات حركة

عدم الانحياز هو سياسة الولايات المتحدة التي تنهج اساليب عدائية متعددة من جملتها النيل من الحركة على طريق بث الفرقة بين الدول الاعضاء كما حدث اثناء اتفاقات كامب دافيد التي وقعت وتمت باشراف ومباركة الولايات المتحدة . او على طريق تاييد العدوان فالويات المتحدة هي التي تقدم «لاسرائيل» كل ماتحتاج اليه من احدث العتاد واشد وسائل الدمار ، وهي التي تصر على ان تتفوق «اسرائيل» على مجموع الدول العربية ، وهي التي توافق «لاسرائيل» وتتفق معها على كل عدوان واسع تقوم به ، ويستهدف احتلال ارض جديدة ، بما في ذلك العدوان على لبنان (٢٣)

« ثم ان الولايات المتحدة تقدم «لاسرائيل» كل الدعم السياسي ، حتى انه يمكن القول انها عطلت مجلس الامن الدولي وشلت فاعليته من اجل «اسرائيل»، فهي تمنع مجلس الامن من اتخاذ اي اجراء بحق «اسرائيل» ،بل تمنعه حتى من ادانة «اسرائيل» ،وقد اصبح واضحا لكل متتبع ان الفيتو الامريكي لايعدو كونه سلاحا اسرائيليا يرفع في وجه كل من يسعى للحد من عدوان «اسرائيل» واعمالها التوسعية ، ونكاد لانذكر حالات استخدمت فيها الولايات المتحدة الفيتو الا من اجل « اسرائيل » وجنوب افريقيا » (٢٤) .

وفي الاونة الاخيرة استخدمت الولايات المتحدة اسلوبا جديدا هو طرح موضوع الارهاب بقصد مقاومة حركات التحرير (٢٥) انه لابد من التاكيد على **ضرورة وضع خط واضح يميز بين الارهاب بما يعنيه الارهاب والنضال التحرري ضد الغزو والعدوان والاحتلال .** ان العدوان والاحتلال يولدان المقاومة ، وعندما يقع العنف الثوري ، وهو حق طبيعي للشعوب المحتلة ارضها ، المغتصبة حقوقها ، تدمغه الولايات المتحدة بالارهاب ، وعندما يقع العنف الارهابي الاسرائيلي تصفه بانه حق مشروع للدفاع عن النفس وبانه عمل انتقامي (٢٦)

وبصورة مجملة يمكن القول ان **الدور العربي السوري داخل حركة عدم الانحياز يمثل ارادة الجماهير العربية وصبوتها الى التحرر والسلام العادل** ، والمساهمة في رفد الحضارة العالمية والحفاظ على

الجنس البشري ، وما من ريب ان هذا الدور قد عزز سياسة واهداف حركة عدم الانحياز في البلدان العربية بصورة خاصة ، وفي نطاق بلدان العالم الثاني بصورة عامة ، مما عكس بدوره القرارات الايجابية على القضايا العربية وفي طليعتها القضية الفلسطينية .

اشــــارات :

(١) الدول المشاركة في مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الاولى هي : تونس — ليبيا — السودان — مصر — مراكش (المغرب حاليا) — غانا — ليبيريا — اثيوبيا — واستبعدت حكومة جنوب افريقيا العنصرية .

(٢) د . امين اسبر مسيرة الوحدة الافريقية ص ٥٢ — ٥٤)

(٣) الانصار الجدد هم : حكومة الجزائر المؤقتة ، الكاميرون ، غينيا ، نيجيريا الصومال في حين لم تتمكن دولتا تونس والكونغو برازافيل من حضورهما المؤتمر .

(٤) د . امين اسبر ، نفس المرجع السابق ص ٦٠

(٥) المادة الرابعة من المعاهدة السوفيتية — الهندية ٩ اب — اغسطس — ٩٧١

(٦) د . اسماعيل صبري مقلد مجلة السياسة الدولية العدد ٥) يوليو — تموز ١٩٧٦ ص١٢ .

(٧) من كلمة مندوب الاتحاد السوفيتي في منبر عدم الانحياز خلال انعقاد مؤتمر الشبيبة العالمي في موسكو — ٢٧ — ٧ / ٣ — ٨ — ١٩٨٥ — والذي كان لكاتب هذه السطور شرف تمثيل القطر العربي السوري في منبر عدم الانحياز .

(٩) تصريح الناطق باسم الخارجية الامريكية بتاريخ ٢ — ٩ — ١٩٨٦ .

(١٠) خطاب وزير الشؤون الخارجية الهندي شيام نافدان مشر ، امام مؤتمر القمة السادس للحركة في هافانا ١٩٧٩ .

(١١) المرجع السابق نفسه .

(١٢) محمد حسنين هيكل ، عبد الناصر والعالم ، دار النهار للنشر بيروت ١٩٧٢ ص ٣٧٢

(١٣) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ٥ — ٢٠ / ١ /٨٥ — التوصيات في مجال السياسة الخارجية الفقرة الثانية .

(١٤) خطاب الرئيس حافظ الاسد امام مؤتمر القمة السادس للحركة في هافانا ١٩٧٩ .

(١٥) المصدر السابق نفسه .

(١٦) خطاب الرئيس حافظ الاسد امام مؤتمر القمة السابع لحركة عدم الانحياز في نيودلهي عام ١٩٨٣ .

(١٧) خطاب الرئيس حافظ الاسد أمام قمة هافانا .

(١٨) المرجع السابق نفسه .

(١٩) خطاب الرئيس حافظ الاسد امام قمة نيودلهي .

(٢٠) المرجع السابق نفسه .

(٢١) المرجع السابق نفسه .

(٢٢) خطاب نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام امام قمة هراري ١٩٨٦

(٢٣) خطاب الرئيس السوري حافظ الاسد امام قمة نيودلهي .

(٢٤) المرجع السابق نفسه .

(٢٥) خطاب نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام أمام ٩مة هراري ١٩٨٦

(٢٦) المرجع السابق نفسه .

نظرة بولونيَّة إلى الصهيُونيَّة

بقلم: اغنانسي كراوشيتسكي

ترجمة: ميشيل منير

● نشرنا في العدد الماضي مقال الكاتب البولوني (ريشارد لونتساج) « القداء الاخير » .. وننشر في هذا العدد المقال الثاني للكاتب البولوني (اغنانسي كراشيتسكي) تحت عنوان نظرة بولنية الى الصهيونيــة .. والكاتب هو المعلق السياسي في صحيفة « تريبونا لودو » لسان حال اللجنة المركزية لحزب العمال البولني الموحد التي تصدر في العاصمة وارسو .

منذ وقت طويل يهتم الراي العام البولوني بشكل خاص بقضية الشرق الاوسط . كما ان قضية العلاقات بين العرب واليهود التي اصبحت عدائية بسبب الصهيونية تثير لاعتبارات عديدة تعليقات وردود فعل كثيرة في وارسو .

ولا داعي للقول ان المجتمع البولوني يملك اسبابا خاصـة للاهتمام بشكل حيوي ودائم بالقضية المذكورة . وهذه الاسباب ذوات طبيعة تاريخية وسياسية راهنة . ففي وقت ما تواجدت اقلية

قومية ودينية يهودية كبيرة العدد في بولونيا . وعلى اراضينا ايضا ولدت بين ممثلي العنصرية والشوفينية اليهودية من سكان بولونيا الايديولوجية الصهيونية اللا انسانية .

ومن الارض البولونية كذلك انحدر وينحدر العديد من القادة الاسرائيليين ومنهم رئيس وزراء اسرائيل الحالي اسحاق شامير . بالاضافة الى ذلـك ـ وهـذا هو الشيء الاهم ـ وقف المجتمـع البولوني ثلاث مرات على الاقل في القرن العشرين وجها لوجه امام النتائج القطيعة للمذهب الصهيوني .

● ثلاثة لقاءات بولونية مع الصهيونية :

١ ـ حدث هذا لاول مرة في سنوات ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ اي خلال الحرب العالمية الثانية . ارتكب محتلو بولونيا الهتلريون آنذاك اعمال ابادة بالنسبة للبولونيين وكذلك ـ بشكل جماعي ـ بالنسبة لليهود . ذهب الملايين من المواطنين اليهود البولونيين ، وبالدرجة الاولى الفقراء والبؤساء ، الى الغيتو ومعسكرات الاعتقال ومن هناك الى الافران .

ولكن تبين في تلك السنوات الرهيبة ان المساعدة اتت لليهود المبادين ، ليس من جانب القادة اليهود الصهاينة **بل من جانب الوطنيين البولونيين وقوات الانصار السوفييت** . اما النشطاء الصهاينة ، الاغنياء عادة ، فلم يكتفوا بالعثور على لغة مشتركة مع قتلة اخوتهم بل تعاونوا في حالات كثيرة مع نظام القمع النازي سواء في صفوف الشرطة اليهودية الفاشية او حتى في تشكيل الغستابو الشهير . اخبرت الحكومة البولونية في لندن والحركات السرية المقاتلة ضد الفاشية الحلفاء الغربيين وقادة الصهيونية العالمية بالتفصيل عن ابادة هتلر لليهود البولونيين والاوروبيين ومع ذلك صمت الاخيرون . وكاحتجاج على الادلة القوية على التعاون الصامت **بين الصهيونية والنازية انتحر زيغلباوم ـ الذي كان نائبا في البرلمان**

البولوني قبل الحرب . بات واضحا لدى البولونيين خلال الحرب العالمية الاخيرة ان الوجه **اللا انساني للصهيونية قريب من وجه النازية البربري** ، وكذلك ان العداء **للسامية عند هتلر يسير يدا بيد مع صهيونية بن غوريون** .

٢ ـ في المرة الثانية تعرف البولونيون على النتائج الوخيمة للسياسة الصهيونية بعد تحرير بلدهم من الاحتلال الهتلري ، في فترة عبادة الفرد التي اشتدت بشكل خاص في سنوات ١٩٤٩ ـ ١٩٥٣ تظاهر صهاينة عديدون بالاخلاص المزعوم لقضية الاشتراكية واحتلوا احيانا مناصب مهمة في الجهاز السياسي والجيش وقوات الامن ، واستغلوا نفوذهم لاعمال التخريب ضد **الاشتراكية والاتحاد السوفييتي** . ارادوا جعل المجتمع البولوني يكره كلا من الاشتراكية والتحالف البولوني ـ السوفييتي عبر طريق انتهاك القانون وحرف سياسة الحزب العمالي . وفي الوقت نفسه ارغموا اخوتهم الناجين من الابادة الهتلرية ـ الصهيونية ، بفضل الاتحاد السوفييتي والوطنيين البولونيين ، على الولاء ليس للدولة التي يسكنونها اي بولونيا بل لزعماء الصهيونية العالمية وبعد ذلك « لاسرائيل » ويشهد على عمق الخيانة الصهيونية في بولونيا آنذاك المثال التالي :

في السنوات الاولى بعد الحرب نظم الصهاينة في مدينة كييلتسه البولونية اعمال عنف ضد اليهود المحليين والقوا بالمسؤولية على البولونيين والروس ! ارادوا ترك انطباع لدى الراي العام العالمي ان بولونيا الشعبية والاتحاد السوفييتي ينشران العداء للسامية ومسؤولان عن اضطهاد اليهود . ومثل هذه الاستفزازات نلاحظها الان ايضا . ان فيلم « شواه » من اخراج لانزمان في فرنسا ـ يبرهن ـ بخلاف المنطق والوقائع على ان البولونيين وليس الهتلريون قتلوا اليهود خلال الحرب !.

٣ ـ للمرة الثالثة ظهرت الصهيونية من دون قناع في بولونيا في اذار عام ١٩٦٨ ، وبعد ذلك خلال سنوات الازمة في الثمانينات .

في عام ١٩٦٨ ، من اجل مساعدة الجيش الاسرائيلي المعتدي على البلدان العربية وقف الصهاينة البولونيون الموجودون في مناصب عالية في الجيش ، وقوى الامن وجهاز الدولة وكذلك في الجامعات ، كمجموعة مافية منظمة لاستلام السلطة ودفع بولونيا الى مدار نفوذ « اسرائيل » . لحسن الحظ اصيبت هذه المساعي بالفشل التام . فضح اليسار الاجتماعي والوطني بقيادة زعيم الحزب آنذاك **فلاديسلاف غومولكا** ـ كما قال غومولكا حرفيا ـ **« الطابور الخامس الصهيوني في بولونيا »** . بعد ذلك استغل الصهاينة بمهارة في الثمانينات الازمة الاجتماعية ـ الاقتصادية والاخطاء في سياسة الحزب البولوني لتحريض العمال على التظاهرات المعادية للاشتراكية والسوفييت . احتلوا مناصب مهمة في كل من لجنة الدفاع عن العمال والهيئات القيادية في « **التضامن** » الناشئة آنذاك . في الوقت نفسه استغلوا نفوذهم ومكانتهم في **اليمين الكنسي** وكذلك بين العناصر الحزبية التحريفية والمعادية للسوفييت من نوع البروفسور ادام شاف واسرة صحيفة « **السياسة** » . كان هدف الصهاينة البولونيين ولا يزال « **لبننة** » بولونيا اي احداث انفجار دموي ثوري مضاد معاد للاشتراكية والسوفييت في بلدنا .

يعرف اليسار الاجتماعي والوطني البولوني جيدا ـ على الاقل ـ من الحقائق والامثلة المذكورة في اعلاه ـ ماهي الصهيونية ليس فقط في الشرق الاوسط ، بل كذلك في اوروبا الوسطى والشرقية ، وفي بولونيا نفسها . بعد التعرف من التجربة البولونية على نتائج الالاعيب والممارسات الصهيونية يملك الراي العام التقدمي في بلدنا الحق بابداء رايه حول هذه الايديولوجية العنصرية. يملك بالدرجة الاولى الحق باتخاذ موقف من القضية الاساسية في الشرق الاوسط واحدى القضايا الرئيسية في عصرنا وهي العلاقات بين العرب واليهود .

ما هي وجهة النظر البولونية حول المواضيع المذكورة ؟..

ما هو موقف الراي التقدمي البولوني من المعركة ضد الصهيونية سواء في الشرق الاوسط او في العالم اجمع ؟.

● **اية دولة واية ايديولوجية ؟**

عندما اعلن **دافيد بن غوريون** في ايار عام ١٩٤٨ قيام دولة جديدة ــ اسرائيل ــ قال انها ستضمن المساواة الاجتماعية والسياسية التامة لمواطنيها بغض النظر عن العرق والجنس والعقيدة . اضاف ان المؤمنين جميعهم بغض النظر عن دياناتهم ، ستكون لديهم حرية الوصول الى « **الاماكن المقدسة** » في فلسطين وخاصة عاصمتها القدس .
في البيان الاستقلالي يخاطب مؤسسو دولة « اسرائيل » منظمة الامم المتحدة قائلين :« **نعرض السلم والصداقة على جميع الدول والشعوب المجاورة** » .

من منظور اربعين عاما تقريبا على وجود الدولة الاسرائيلية يمكن القول ان وعود بن غوريون ومنطلقات قرار منظمة الامم المتحدة كانت كلمات جوفاء . منذ نحو اربعة عقود لم تكن اسرائيل ابدا دولة تضمن حقوقا متساوية لمواطنيها اليهود والعرب . والاكثر من ذلك انها اصبحت على ماهي عليه الان : « **ارض الميعاد** » **لليهود ، وسجنا للعرب** .

لماذا حدث ذلك ؟ كيف جمعت هذه الدولة الفريدة من نوعها في بناها وتصوراتها الفكرية كل هذه المحتويات السلبية بل الفاشية ؟

يعثر البولونيون على قسم كبير من الاجوبة على الاسئلة المذكورة في كتابين سوفييتيين . **الاول دراسة جماعية صدرت سنة ١٩٧٨ بعنوان « ايديولوجيا وممارسة الصهيونية الدولية »** ، **الثاني ــ تاليف ايغور ياروسلافسكي « بم تتهم الصهيونية ؟» (عام ١٩٨٥)** . **يشير الكتابان بشكل موضوعي وهادىء ، شامل وموثق الى المكان الذي تحتله « اسرائيل » حاليا ومن يقف وراء ذلك ولماذا ؟**

يشبه الكتابان كتابا ثالثا اقدم ، واقصد هنا دراسة اوتو هيلر الشهيرة الصادرة سنة ١٩٣٤ بعنوان «**افول الصهيونية**» التي قومت ايضا الصهيونية من وجهة نظر ماركسية . ولكن الفارق كبير بين المطبوعات السوفييتية الحديثة وهذا الكتاب . اكتفى هيلر بالتنبؤ بالنتائج الكارثية للعالم واليهود انفسهم من تجسيد الفكرة الصهيونية في حين يؤكد المؤلفان السوفييتيان المعاصران الحقيقة عن الصهيونية بالاستناد الى وقائع غنية .

كانت نقطة الانطلاق في تاملات الباحثة التقدميين المذكورين ولاتزال الموضوعة القائلة بعدم وجود شعب يهودي وبان الصهيونية ليست سوى ايديولوجية البورجوازية اليهودية . كتب هيلر حول هذا الموضوع قبل اكثر من نصف قرن مايلي :

« **لم يحارب البلاشفة صفات القومية اليهودية بل ذلك الوهم عن الشعب اليهودي . الشعب مفهوم اجتماعي . ان مجموع الصفات القومية التي يميز جملتها عن بقية الافراد تخلق القومية . واذا كان هذا المجموع كاملا يتكون الشعب . واذا كان غير كامل فحينها يستبعد الشعب ولكن لا يستبعد وجود قومية متميزة . ان مصدر التشويش هو خلط مفهوم الشعب بمفهوم القومية الذي يظهر في الاستخدام غير الدقيق للاصطلاحين المختلفين ومعاملتهما كرديفين . لم يحارب البلاشفة قومية اليهود بل وهم الشعب اليهودي الخاص والمتجانس ذلك الوهم الذي يقف عقبة امام النضال الطبقي الموحد للبروليتاريا** »
اوتو هيلر ، افول الصهيونية ، وارسو ، ١٩٣٤ ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .

يستعرض هيلر حجج دراسة جماعية صدرت في موسكو سنة ١٩٢٤ بعنوان «**لينين والقضية اليهودية في روسيا**» . يذكر مثلا تصريح رئيس المفوضية المركزية للشؤون اليهودية الموجودة انذاك س . ديمانشتين الذي قال ان القوميين اليهود والصهاينة لعبوا دورا سلبيا جدا في الاشتراكية الديمقراطية الروسية ويحاولون عموما ارغام الاعضاء اليهود في المنظمات اليسارية والثورية على اخضاع مصالحهم

الطبقية للمصالح الخادعة للشوفينية اليهودية . وبعد ذلك اضاف هيلر انه « **لايوجد عداء للسامية بدون الصهيونية** » واصفا الظاهرتين بالعنصرية والشوفينية كوجهين لعملة واحدة . تبين بعد قليل ان نبؤته عن « الحاجة الاجتماعية » للصهاينة الى العداء للسامية نبؤة صحيحة فكما ذكرت سابقا قام الهتلريون بموافقة صامتة من زعماء الصهيونية العالمية وامام اعين العالم بابادة اليهود . لم تكن اعمال الابادة ممكنة فقط بسبب وجود النازية بل كذلك نظرا لنشاط الصهيونية .

في ايام هيلر كانت فكرة الدولة اليهودية الصهيونية مجرد فكرة ، لاقت في الحقيقة التقويم الذي تستحقه من الجانب التقدمي من المتراس العالمي — انتقادا واضحا — ولكن ممارسات دولة اسرائيل هي التي كشفت الوجه البائس للعقيدة الصهيونية المجسدة عمليا .

الكاتبان السوفييتيان المذكوران مكرسان لتحليل هذه الظاهرة الاخيرة ، ويستحق الاهتمام بشكل خاص الاخير منهما اي تأليف ايفور ياروسلافسكي . يعرض هذا الكتاب الظاهرة التي نددت بها منظمة الامم المتحدة رسميا سنة ١٩٧٥ ليبرهن ان دولة «اسرائيل» عنف عدواني ودعائي منظم وان ايديولوجيتها الرسمية تستند الى التمييز العنصري بدرجة لاتقل مثلا عن جمهورية جنوب افريقيا . ولايتسع المجال هنا لذكر الوقائع العديدة التي تشهد على ذلك (**من ذلك التعصب ضد المسيحين او المسلمين ، الاعمال العدوانية التي ترعاها سلطات الدولة الاسرائيلية ضد اولئك اليهود الذين يرفضون نظرية وممارسة الصهيونية ويحتجون علنا ضدها**) . ولكن الشيء الاهم هو البرهان العلمي على ان اعتداءات اسرائيل العديدة على البلدان المجاورة ، الاغتصاب المتزايد للاراضي العربية ، ارهاب الدولة الموجه ضد الوطنيين الفلسطينيين — كل هذا نتيجة التطبيق العملي لمنطلقات المذهب الصهيوني .

● المؤتمر اليهودي العالمي و « بني بريث » :

يصف **ياروسلافسكي** نشاط دولة اسرائيل وكذلك تلك المنظمات الصهيونية الدولية مثل المنظمة الصهيونية العالمية ، المؤتمر اليهودي العالمي ، « **بني بريث** » و « **جوينت** » . يشير الى وجود تقسيم معين للادوار بين تلك المنظمات ودولة «اسرائيل» . ففي نهاية الامر قرر قسم صغير من اليهود في العالم (**٣ر٢ مليون من اصل ١٤ مليون شخص**) خلال العقود الاخيرة الانتقال الى فلسطين ، ولذلك فان وجود المنظمة الصهيونية العالمية ، المؤتمر اليهودي العالمي ، « جوينت » ضروري للصهيونية العالمية كاحدى وسائل الضغط الرئيسية على اليهود الموزعين في العالم كي لا يتجرأوا على وضع الولاء للدولة التي يسكنونها والمجتمع الذي يعيشون فيه فوق الولاء للزعماء الصهاينة واسرائيل نفسها .

ومن وجهة النظر هذه يهمنا بشكل خاص الفصل الاخير من كتاب ياروسلافسكي الذي يتحدث عن موقف اسرائيل والصهيونية من الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية . يشير المؤلف الى انه خلال الحرب الاهلية في روسيا السوفييتية والتدخل الغربي في العشرينات وقفت الصهيونية مقاتلة باستمرار ضد الاتحاد السوفييتي ونظام الاشتراكية الواقعية . يعتبر المؤلف هذه الظاهرة طبيعية لان الصهيونية كظاهرة قومية بورجوازية معاصرة بطبيعة الحال معادية للشيوعية والسوفييت . يضاف الى ذلك عنصران مهمان : **الدور العالمي وكذلك الاقليمي الشرق اوسطي للاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية الحازم ضد الهيمنة والعسكرية الاسرائيلية** والمدافع عن حق الشعب العربي الفلسطيني بانشاء دولته . ولذلك يقول **ياروسلافسكي انه من وجهة نظر الاممية الاشتراكية يعتبر كل من تاييد الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى لقضية تحرير فلسطين وعموما للدول العربية التقدمية وكذلك التضامن بين الامبريالية الامريكية والصهيونية العالمية ظاهرة طبيعية .**

والعنصر الثاني الذي يدخـــل في تركيب موقف « اسرائيــل » والصهيونية من الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية يمكن صوغه نقلا عن احد زعماء المؤتمر اليهودي كما يلي : « **الولايات المتحدة تمد اسرائيل بالنقود والسلاح ، اما الاتحاد السوفييتي فيجب ان يضمن لاسرائيل تدفق الناس** » . وليس الصخب الكبير في الغرب منذ سنوات حول من يسمون بالمنشقين في الاتحاد السوفييتي او امكانية هجرة اليهود السوفييت سوى محاولة تتجدد دوما لارغام الاتحاد السوفييتي على تنفيذ المطلب المذكور . لا توجد فرص للحصول على « لحم مدافع » اسرائيلي جديد من الولايات المتحدة الامريكية او امريكا الجنوبية حيث توجد تجمعات يهودية كبيرة . ولذلك يريدون فتح قناة سوفييتية للهجرة الجماعية اليهودية . وذلك بشكل مباشر الى اسرائيل ، فقد حدث كثيرا في الماضي ان انتهت طرق الهجرة غير المباشرة (**مثلا عبر النمسا**) بالفشل من وجهة النظر الاسرائيلية لان اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفييتي لم يصلوا الى صفوف جيش شارون او الكيبوتسات المحلية بل الى اماكن مختلفة تماما مثل كندا او اوستراليا .

تسمح لنا مطالعة كتاب ايغور باروسلافسكي بترتيب حقائق معروفة من هنا وهناك ، كما تسمح بصوغ اجابة الراي العام السوفييتي او البولوني عن سؤال من نوع ما هي دولة اسرائيل اليوم وماهي الايديولوجية التي تتوجه بها وفي ضوء هذه الدراسة ايضا تكتسب بعدا منطقيا الجرائم الاسرائيلية الوحشية من نوع مذابح الفلسطينيين في معسكري صبرا وشاتيلا او سلسلة ارهاب الدولة الموجه ضد الوطنيين العرب والدول العربية التقدمية مثل **سورية او الجماهيرية الليبية** .

في عام ١٩٧٠ اعلنت رئيسة وزراء اسرائيل آنذاك **غولدا ماير** حملة صليبية شاملة ضد الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية تؤكد السنوات الـ ١٥ الاخيرة ، بغض النظر عن الحكومة في تل ابيب تماما تصعيد هذا النوع من الاعمال المعادية للاشتراكية والمعادية

للسوفييت . وكما يقول باروسلافسكي ، من بين خطط التخريب الصهيوني المهم ـ كذلك في الدول الاشتراكية ـ تنظيم شيء من نوع « طابور خامس » معاصر (اذا استعرنا الوصف الذي استعمله فلاديسلاف غومولكا سنة ١٩٦٨) . وهنا تبرز مقارنة ماجاء في اعلاه مع الوضع البولوني سنة ١٩٦٨ عندما فضح حزب العمل البولوني الموحد والوثائق الرسمية في المؤتمرات الحزبية مثل تلك الخطط وهذا شيء لم يغفره حتى اليوم لليسار الوطني والاجتماعي زعماء الصهيونية العالمية ولا اتباعهم المحليون .

اذا نظرنا من منظور التجارب البولونية الاخيرة الى القضايا التي يثيرها ايغور باروسلافسكي والمؤلفون السوفييتيون الآخرون الذين يتحدثون عن الصهيونية نفهم بشكل افضل واكمل (اليات) معبئة لنشاط بعض القوى المحركة لعملية تفكيك الاشتراكية في بولونيا . . .

دراسات فكرية

الشروط الموضوعية والذاتية لتحقيق الحرية في الفكر الاشتراكي

الرفيق د. حامد خليل

مقدمة :

صحيح ان قضية تحرير الانسان كانت ، طوال خمسة وعشرين قرنا ، القضية المركزية التي تشكلت على اساسها المذاهب والاتجاهات الفكرية المتنوعة ، لكن ايا منها لم يضعها في اطارها الصحيح مثلما فعل مؤسسو الاتجاه الاشتراكي ومفكروه. وربما لا اجانب الصواب ان قلت انهم فجروا في هذا المجال ثورة لم تكن باقل اهمية من الثورة التي فجرها « كوبرنيكوس » في علم الفلك ، ان لم تكن اعظم شانا منها واكثر جدوى .

فقد ادرك اولئك المؤسسون بعمق كيف ان الافكار الانسانية ، التي صاغها المفكرون عبر العصور ، اصبحت ، حين التداول ، اداة قهر وتحطيم لانسانية الانسان ، وتحولت الى النقيض تماما ، لانها لم تقترن بشروط تحقيقها الموضوعية والذاتية ، ولذلك سعوا الى تصحيح هذا الوضع المقلوب ، وجعلوا تلك الافكار تمشي على اقدامها ، عوضا عن ان تظل تمشي على رؤوسها ، فتاسس على هذا الاساس علم للانسان لم يزل العلم الذي يشكل شعار كل الساعين الى تحرير الانسان من قيوده واغترابه ، والطامحين الى خلق الانسان الحقيقي الشامل ، الذي هو كل انسان ، والذي لم يحدث ان تبنى مذهب اخر خلقه ، ولا هو تحقق على الارض بعد .

وللتوضيح اكثر اقول ان مفكري الاشتراكية اكتشفوا ان الافكار الانسانية ، والحرية واحدة منها ، التي حملت رايتها الثورات البورجوازية في العالم ، لم تكن ، حين التداول سوى قناع للامعان في تكريس تبعية شعوبها ، وقهرها ، واستغلالها من قبل قوى جديدة حلت محل القوى القديمة ، وذريعة لتحقيق مصالح طبقة معينةبالذات على حساب تلك الجموع التي كانت وقود تلك الثورات . وقد حدث ذلك لان تلك الافكار لم تكن تقترن ، لا حين صيغت ولا حين مورست ، بشروط تحققها الموضوعية والذاتية ، فاصبحت على هذا النحو وبالا على من ادعى انها صيغت لانقاذهم ، عوضا عن ان تكون سلاحا لتحريرهم .

فالانسان الذ ي يفترض ان الحرية هي الشرط الاساسي لارتقائه ، وتفتح قواه العقلية والبدنية ، اصبح تابعا ، باسمها ، لانسان اخر ، لانها لم تقترن بشرط تحققها المادي ، الذي هو المشاركة ، بالتساوي ، في ملكية المجتمع العامة ، اذ حين اصبح احد يملك اكثر مما يستطيع استثماره بنفسه ، بينما لا يملك الاخر شيئا ، تحتمت تبعية الثاني للاول ، وتوثقت اغلاله من قبله ، وباسم الحرية ذاتها ، حرية ان تستخدم ، وحرية ان تستخدم ..

كذلك حين لم يكن بناء مجتمع انساني حقيقي شرطا اساسيا لتحقق حرية الانسان تحققا فعليا وارتقائه ، بدا المقتدرون من الناس ينتجون ويبيتون ويمارسون ، باسم الحرية ذاتها ، ما يؤدي الى تعميق الانقسام الطبقي في المجتمع . وانحداره وبالتالي انحدار الانسان فيه وتكريس تبعيته ، وتشييوءة .

فبدلا من البدء في بناء نمط من الانتاج يهدف قبل كل شيء الى السير باتجاه تحقيق وفرة من الحاجات الانسانية الاصلية ، التي تبعث الحياة في القوى الرحبة الكامنة في الانسان ، وتحرضها ، وتدفعها في طريق النمو والتقدم ، عمدت تلك القوى الى خلق حاجات غير انسانية جديدة لكي ترغم الانسان ، مستهدفة الثراء فحسب ، على ان يقوم بتضحية جديدة ، ولاغرائه الى السير باتجاه نوع جديد من الحياة الاستهلاكية الرخيصة ، ولوضعه في علاقة اعتماد او تبعية جديدة ، وسوقه في نهاية المطاف الى حيث يلقى حتفه الاقتصادي ، وما يترتب على ذلك من تحطم لقيمه،وانحدار مستواه الانساني ، وتجريده من اسلحته الانسانية ، والاهم من ذلك ان هذه الطريقة في الانتاج جعلت الجميع ، المنتجين والسادة مستعبدين من قبل السلع ، وشروط صنعها ، وطرق تصريفها ، وقد تم ذلك باسم الحرية ذاتها ، حرية ان تنتج ما تشاء ، وتبيع وتشتري ما تشاء .

وفي مثل هذا النمط الانتاجي المذكور ، انحرف العمل ، وللسبب المذكور نفسه ، عن كونه ميدانا رحبا لصياغة الشخصية الانسانية ، وتفتح قواها وتنميتها ، وتحريك

فاعليتها ، وتحويل مشاعرها من مشاعر تتمركز حول ذاتها الى مشاعر انسانية حقيقية شاملة ، وكذلك تحويل طبيعتها من طبيعة طبيعية الى طبيعة انسانية عاقلة وتلقائية وحرة - اقول انحرف العمل عن النطاق المذكور، وعن كونه قيمة انسانية حقيقية ، وباسم الحرية ذاتها ، الى بضاعة تباع وتشرى ، فتحول الانسان ، حامل تلك القيمة ، ونتيجة لذلك ، من انسان يفترض ان العمل يحقق له انسانيته الى تابع او اداة تقتصر وظيفتها على تشغيل عجلة الانتاج الدائرة لحساب السيد ، والى كائن مسخ شوهه التخصص الآلي الضيق المبتور ، وحال دون تحرره وبالتالي دون ارتقائه٠

وبكلمة اخرى اقول ان ما اشرت اليه ، اعني عدم اقتران فكرة الحرية بشروط تحققها الموضوعية والذاتية ، ادى الى ان يصبح غرض الانسان ليس غرضه ٠ اذ ان تكديس الثروة اصبح المطلب الاساسي ، واصبح قدر الانسان ان يساهم في زيادتها لا من اجل ارتقائه الانساني - بل كغاية في ذاتها ٠ وقد تحول على هذا الاساس الى مجرد ترس في الآلة الاقتصادية الضخمة ، الترس الذي يكون « هاما » اذا كان لديه راس مال كبير ، لكنه لايكون له معنى اذا لم يكن لديه شيء ٠ انه يكون ترسا لخدمة غرض غير انساني٠

والاهم من ذلك انه يقطع جميع الروابط الانسانية التي تربطه بالاخرين ، لانه لم يعد يرى فيهم سوى انهم منافسون له يتعين عليه التغلب عليهم ، وقهرهم ، وازاحتهم من ساحة المعركة الاقتصادية الوحشية التي يحارب فيها كل انسان ضد كل انسان اخر٠

كذلك ادى ما اشرت اليه الى ان يكف الانسان عن ان يصبح نفسه . فهو لا يبيع في هذه السوق سلعة فحسب ، وانما يبيع ايضا نفسه ، ويشعر بانه اصبح سلعة كباقي السلع . اذ انه يتعين على العامل ورجل الاعمال والطبيب والكاتب والمفكر وغيرهم ان يمتلكوا « شخصية » ترضي السوق اذا كان عليهم ان يبيعوا انتاجهم او خدماتهم . اي ان عليهم ان يكونوا لا كما يريدون ، وانما يتوقع منهم الاخرون ان يكونوا .

ان الحرية في هذه السوق تصبح وهم الحرية ، ويصبح الانسان على هذا الاساس هو وحده من بين كل الكائنات الكائن المسخ الذي يشوهه التشيؤ ، ويكبله باشكال جديدة من الاغلال ٠

لقد نفذ مفكرو الاشتراكية الى اعماق حياة الناس عبر التاريخ ، وقراوا بعمق هذه التجربة ذات الدلالات الغنية ، فاكتشفوا الى اي حد طبع الزيف الافكار الانسانية التي صاغتها عقول البشر بطابعه الذي لم يفرغها من مضمونها الايجابي فحسب ، وانما حولها الى اداة فاعلة للقهر والاغتراب الانسانيين . فقادهم انتماؤهم الواعي العميق لقضية تحرير الانسان ، كل انسان ، الى ان يروا ان التطور الحر المتجانس لكل فرد هو المقدمة الاساسية للتطور الحر للمجتمعات البشرية قاطبة . وبالتالي

لتحقيق الحرية الانسانية الحقيقية ٠ وهذا يستدعي بلا شك الا تكون الحرية مجرد نزوة بائسة تظل محصورة في اطار الرفض وعدم الالتزام ، بل الحرية من حيث كونها قدرة المرء الفعلية على ان يجمع في ذاته ثقافة الانسانية السالفة والحاضرة وقوتها ،وقدرته ايضا على الخلق باتجاه تجاوز الحالة الراهنة ، وعلى ان تكون له ، بفضل هذا الحضور الشامل للانسانية فيه ، مساهمته الخلاقة في صيرورة الجميع ٠ ذلك لان الانسان لا يكون حرا بتاكيد الفردية ، ولا بالرفض ، ولا بالنفي ، ولا بالانفصال عن الاخرين ، وانما يكون حرا فقط عندما يكون مسكونا من قبل الانسانية قاطبة ، اي ، ، من قبل ماضيها كله الذي هو الثقافة ، ومن قبل واقعها الحاضر كله الذي هو التعاون على نطاق المعمورة باسرها ٠

بمعنى اخر اقول ان الحرية هي ان تتوافر الامكانية لكل انسان ، للبشر جميعا ، في الوصول الى كلية الثقافة الانسانية ، والمساهمة الكاملة ، في العمل المشترك ، المنظم تنظيما واعيا ، لجميع البشر ، والمشاركة في الثروات والقدرات التي يخلقها هذا العمل ، ومن ثم تطوير الانسان لكامل قوته الخلاقة دونما حدود غير حدود امكانياته ومواهبه ، وقد بدا لمفكري الاشتراكية ان ذلك لا يكون ممكنا الا اذا تحققت للانسان الشروط التي على اساسها تكون له افكار من نفسه ، لا بمعنى انها لم يفكر فيها شخص اخر من قبل ، وانما بمعنى انها تصدر عنه هو ، وانها نتيجة لنشاطه الحر ، وتكون افكاره هو ، وليست افكارا يقاد الى تبنيها واجترارها ٠ وكذلك الشروط التي تسمح له بتوظيف تلك الافكار في تطوير المجتمع ، والبشرية قاطبة ، بحيث يؤدي ذلك الى توسيع ميدان تحقق الحرية ، وضمان تناميها ، وتنويع مجالات تطبيقها ٠ اي الشروط التي يستطيع الانسان بموجبها ممارسة دوره المسؤول في تعميق الارتقاء الانساني ٠ اذ ان الحرية لاتكون كاملة ان لم تكن المسؤولية كذلك فنشاط الانسان الاكثر مسؤولية، المشحون باعمق وعي وشعور بها ، هو وحده الذي يستحق ان يسمى نشاطا حرا اصيلا وواعيا حقا ٠

ولما كانت المسؤولية هي توجيه النشاط الذي تتحقق به الحرية ، وفي الوقت نفسه مقياس مدى ملائمة النشاط الحر للاهداف التي يرمي الى تحقيقها ، وكذلك وسيلة تنظيم وتوجيه الفعالية الذاتية الموضوعة في خدمة الكل ، فانها الطريق الاكثر او الاقل نجوعا لبلوغ الحرية ٠

على ان مفكري الاشتراكية لم يكونوا ميتافيزيقيين لكي يروا ان تحقق حرية الانسان على النحو المذكور ، انما هي مسالة وعي فحسب ، ولا كانوا رومانسيين او طوباويين لكي ياخذوا بالحل التربوي او الاخلاقي ، وانما دفعتهم عقليتهم الى ان يفهموا بعمق بالغ الشدة ان تحقق الحرية يخضع لقوانين علمية موضوعية وذاتية

يتعين على كل من يسعى الى تحرير البشرية اكتشافها ، وتبنيها ، والتسلح بهـا ، والقتال من اجل وضعها موضع التنفيذ ·

وهذا لا يتاتى الا بفعل تاريخي نضالي يستهدف قبل كل شيء الغاء كافة القيود المادية التي قادت الى التشكل الطبقي التاريخي للناس ، واعاقت التحقق المذكور عبر التاريخ · اي الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وكذلك الغاء الحرية البرجوازية المتمثلة بحرية الانتاج والبيع والشراء ، وحرية تكديس الثروات على حساب المنتجين الحقيقيين ، وحرية استغلال الاخرين ، واقامة الملكية الجماعية ، بملكية الشعب باسره لكل وسائل الانتاج محلها ، وتحرير علاقات العمل ، وتقويض كل العداوات القومية المكرسة لخدمة الطبقات المستغلة ، واحلال التعاون بين الامم والشعوب محلها ·

كذلك فهموا ان ذلك لايمكن ان يتم الا على اساس طبقي اذ ان كل اغتراب بشري، وكل عبودية وقهر وتمزق وتشيؤ للانسان عبر التاريخ ، انما تنشا كلها من علاقـة واحدة بالذات ، هي علاقة الانسان المنتج بالانتاج ، وكذلك فان تحرير الانسان مـن شروط لا انسانيته المذكورة لا يمكن تحقيقه الا على يد طبقات المنتجين انفســهم · وذلك لان التحرير المذكور هو في حقيقته تحرر الانسان من علاقته تلك بالانتاج · وهذا يستدعي حكما تحرير كل انسان مرتبط بهذه العلاقة ، اي تحرير طبقات المنتجين التي هي وحدها المرتبطة بها ، والتي يكون تحريرها تحريرا للانسانية بالكامل ·

لكن لما كان التحرير المذكور فعلا نضاليا تاريخيا كما اسلفت · فهذا يعني انـه يتوقف على اضطلاع الطبقات المذكورة بهذا الدور وبغير هذه الطريقة فان الحديث عن التحرر يكون ضربا من الوهم · وتكون الحرية مجرد كلمة جوفاء تقبع في مخيلـة الشعراء ، ولا تفصح عن نفسها الا في اشعارهم .

نخلص مما تقدم الى نتيجة اساسية واحدة ، هي ان تحقق الحرية الانسانيـة الحقيقية لا يتم ، كما يرى مفكرو الاشتراكية ، الا بتوافر مجموعتين من الشروط : شروط موضوعية ، واخرى ذاتية ، هي ما نسعى فيما يلي الى توضيحه :

اولا : الشروط الموضوعية

ان تحقق الحرية يتوقف ، في هذا المجال ، على توافر ثلاثة شروط اساسية : شرط مادي ، وشرط اجتماعي ، وشرط انساني ·

١ ـ الشرط المادي :

لايمكن ان تتحقق لاي انسان حريته الا اذا انتفت تبعيته لانسان اخر ، او لطبقة، او لقوانين السوق التي لا يستطيع احد التحكم بها ، ولا التصرف الا وفقها دون ان

يكون له اي دورفي وضعها · ولا اراني بحاجة الى الاكثار من التدليل على صحـة هذه الدعوى ·

فالادبيات الاشتراكية اسهمت كثيرا في توضيحها · ويكفيني ، للتدليل علـى اهميتها ، ان اشير بهذا الصدد الى ما قاله الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو فـي معرض بحثه عن الاسباب التي ادت الى فساد المجتمعات لتوضيح هذه النقطة ·

يقول روسو : « ان اول انسان احاط قطعة ارض بسياج ، وقال « هذا ملكي » ، ووجد اناس بسطاء صدقوا ما قاله لهم ، انما هو مؤسس المجتمع المدني ، اي المجتمع الفاسـد » ·

ولكي يزيد المسالة توضيحا اردف يقول : «لو ان احدا اقدم انذاك ـ على هـدم ذلك السياج هاتفا بابناء جنسه : احذروا من ان تصدقوا كلام هذا المشعوذ الماكـر ، ولا تنسوا ان ثمار الارض للجميع ، وان الارض ليست ملكا لاحد ، لكان وفر علـى البشرية الكثير من الجرائم والحروب ، والقتل ، والشقاء ، والفظائع » .

بهذه الكلمات البسيطة يكون « روسو » قد اوضح بجلاء اصل كل قهر واغتراب انسانيين · فتحليل قانونية الملكية الخاصة والية عملها تبين بوضوح شديد انها تشكل عائقا اساسيا يحول دون ان تتحقق للانسان حريته ، سواء اكان مالكا ام غير مالك ·

فحين تقيم الانسان علاقة خاصة بها ، على اساس انها حاجة ضرورية لـه ، لا تلبث ان تخلق لديه حاجة جديدة ، اعني الحاجة الى توسيع رقعتها ، ومد نطـاق تاثيرها ، وبالتالي طلب المزيد منها ، غير ان الوفاء بتلك الحاجة التي هي الاستزادة منها ، سيترتب عليه الخضوع لقوانين نموها واتساعها ، فيصبح الانسان تابعا لها ، عوضا ان يكون السيد الذي يتحكم بها ·

اما من جهة الذي لا يملك ، فانه غير خاف على احد انه سيكون مرغما على بيع نفسه للذي يملك ، وبالتالي التخلي عن حريته لصالحه وقد عبر « روسو » عن هـذه العلاقة بصورة ساخرة ، حيث قال في معرض وصفه للاتفاق الذي يتم بين الغنـي والفقير : « انت بحاجة الي لانني غني وانت فقير · اذن دعنا نعقد اتفاقا فيما بيننـا اسمح لك بموجبه بشرف خدمتي ، شريطة ان تعطيني القليل الذي يتبقى لك ، مقابل العناء الذي اعانيه من جراء اشرافي عليك » ·

ومن الجدير بالذكر ان نشير في هذا المقام الى انه حتى بعض مفكري الانظمـة الاجتماعية القائمة على الملكية الخاصة انفسهم تنبهوا الى خطورة هذه الاخيرة ، اي الملكية الخاصة ، على اصحابها ، وتهديدها لحرياتهم ،رافة بهم وليس انتصارا

لقضية الحرية ذاتها · لذلك دعوا الى الحد من سيطرتها ، لتقليل الاخطار التي قد تحيق بهم من جرائها ·

فقد دعا افلاطون الى شيوعية الملكية بين افراد الطبقة « العليا » في المجتمع ، خوفا من اي يؤدي اي انقسام فيما بينهم ، بسبب التنافس عليها ، الى حدوث ثغرات في امن النظام قد ينفذ منها انصار الديمقراطية ، فينتزعون السلطة من ايدي اولئك ، فيفقدون بذلك حريتهم · · ·

كذلك دعا ميكافيلي الى المساواة في الملكية ، لان الاضطرابات في المجتمع تنجم ، في نظره من التفاوت في توزيعها · وقد بين ان الخشية من ضياع تلك الملكية لدى الذين يملكون ، تدفعهم الى تحقيق المزيد منها على حساب الاخرين ، مما يثير في نفوس الذين لايملكون الرغبة في الامتلاك اما بدافع الثأر لانفسهم من اولئك الذين ابتزوهم ، او بدافع الرغبة في المشاركة في تلك الثروات · ولذلك راى انه يتعين تحقيق المساواة في الملكية بين الناس ، لكي يتحقق السلام في المجتمع ، ولا يفقد الناس ، والحقيقة افراد الطبقة المالكة ، حريتهم ·

وهكذا يقودنا التحليل الى ان الغاء الملكية الخاصة هو الشرط المادي الذي لا غنى عنه لتحقيق الحرية الانسانية الحقيقية ·

ب ـ الشرط الاجتماعي :

لم يدن اي فكر من حقيقة تكون الانسان عبر التاريخ ، ولا فتح له افاق الرقي والتقدم ، مثلما فعل الفكر الاشتراكي ·

فبينما يرى مفكرو الاتجاهات الاجتماعية الطبقية ان الطبائع البشرية هي معدة مسبقا اما بطريقة مراتبية يكون بعضها بالفطرة مؤهلة للقيادة ، والاخر للخضوع (افلاطون وارسطو) او انها ملوثة بفعل الخطيئة التي تحدرت الى تلك الطبائع من ادم ، وان الله اختار بعضها للحياة الابدية لحكمة لا نعرفها (القديس اوغسطين والاكويني ولوثر وكالفن) ، او انها صيغت بالفطرة ايضا بطريقة يكون كل انسان ذئبا لاخيه الانسان ، وان الحاجة تقضي بوجود ذئب اكبر يحق له ان يعض وينهش في شتى الاتجاهات ، ويتعين على الجميع الخضوع له لكي يكونوا في مأمن من شر بعضهم البعض (هوبز) ، وان تلك الطبائع تظل على ما هي عليه دونما تغيير ، وان الجميع ليس سوى حزمة من الافراد او الوحدات المغلقة ، وسوق لتبادل السلع والحاجيات ، وليس ابدا الرحم الذي يتشكل فيه الفرد عقليا وخلقيا وثقافيا واجتماعيا ـ اقول بينما يرى هؤلاء ذلك ، نجد ان مفكري الاشتراكية ينحون منحى آخر ينطلقون فيه من حقيقة اساسية هي ان المجتمع ضرورة جوهرية اما لتحول طبيعة الانسان

من طبيعة طبيعية قابلة للنمو الى طبيعة انسانية حقيقية ، تضفي السمة الاخلاقية على مسلكها ، بدلا من الافعال الغريزية ، وتسترشد بنور العقل الواعي المستنير عوضا عن الانصياع الاعمى للنوازع ، ويحل صوت الوجدان فيها محل الاندفاع الجسدي ، والحق محل الشهوة ، والواجب محل الارغام ، والحرية محل العبودية ، او لافساد تلك الطبيعة وانحدارها ، وجعلها تكتسب عواطف عدوانية ورذائل اخرى كثيرة ، بحيث تصبح حياة البشر ساحة صراع يكون فيها الكل في حرب ضد الكل ·

وحقيقة الامر ان الانسان ليس ، عند اولئك المفكرين ، على ما هو عليه منذ البداية وسيظل كذلك الى ما لا نهاية ، وانما هو يتكون في التاريخ ، وان الشروط الاجتماعية التي يجد نفسه فيها هي التي تلعب الدور الاساسي في تكوينه على هذا النحو او ذاك . اي ان الانسان يحمل في طبيعته بذور تحوله ، غ. ان التحول باتجاه ان يكون كائنا انسانيا بحق ، انما يتوقف على نوع العلاقات الاجتماعية التاريخية الذ يتكون وفقها · والحق ان التاريخ الانساني هو تاريخ اغتراب الانسان وقهره وعبوديته ، وتجرده من الصفات الانسانية ، بقدر ما هو تاريخ تطوره المتنامي باتجاه تحقيق تلك الصفات ·

وقد بين مفكرو الاشتراكية ، وهنا يتضح معنى قولنا قبل قليل انهم فهموا بعمق حقيقة تكون الانسان ، ان العمل هو القيمة الانسانية الاساس التي تنبثق منها ، وتنتج عنها ، كل القيم الاخرى ، وانها مصدر كل تحول انساني من النوع الذي اشرت اليه .

فالانسان حين يحول الطبيعة انما يحول في الوقت نفسه ذاته ، غير انه حين يفعل ذلك ، فانما يفعله ، عبر الناس الاخرين ، بواسطة العمل ، وهذا يعني ان العمل عملية اجتماعية في المقام الاول ، يتم بها تحويل الفرد والمجتمع والطبيعة ، سواء بسواء ·

ولتوضيح الصورة اقول ان مفكري الاشتراكية لم ينظروا الى العمل على انه مجرد نشاط اقتصادي هدفه الوحيد توفير سبل العيش الطبيعي فحسب كما يفعل المفكرون الاخرون ، وانما نظروا اليه على انه ، في المقام الاول ، النشاط الوجودي للانسان ، اي النشاط الذي يتوقف بناء الشخصية الانسانية من الوجهة الانطولوجية والعقلية والاجتماعية والفنية والثقافية وغيرها عليه فبالعمل وحده ينمي الانسان قواه البدنية والعقلية ومشاعره ، ويعيد انتاج ذاته الانسانية ، ويعكس تلك الذات في العالم الذي ينتجه ·

بدونه لا يمكن لتلك القوى والنشاطات وبذور التحول الكامنة في الانسان ، ان تنمو بالفعل وترتقي · وقد اورد اولئك المفكرون نقاطا كثيرة ، نذكر بعضا منها ، تبين كيف

ان العمل يتحول من كونه اداة او وسيلة لانتاج الخيرات المادية الى ان يكون غاية في ذاته وتتحقق فيه وبه للانسان ذاته الانسانية ·

فبالعمل يشرع الانسان في توسيع ادراكاته الحسية ، وحواسه ، وبينما يستخدم قواه العقلية في التفكير ، او في تكوين الافكار ، وايصالها · وفي تطوير اللغة · ذلك ان البشر يبداون بميزون انفسهم عن الحيوانات حالما يشرعون في انتاج وسائل معيشتهم وهي خطوة يحكمها تنظيمهم الجسدي . واذا ينتجون وسائل معيشتهم ، فانما ينتجون بشكل غير مباشر حياتهم الفعلية بكاملها ·

والحقيقة انهم حين يفعلون ذلك ، انما يبداون يتصرفون ككائنات انسانية ، ويطورون تنظيمهم الاجتماعي · وبذلك يبتكرون الافكار ويفكرون وينطقون ·اذانهم بصنعهم للادوات واستخدامهم لها ، وباجبارهم الموضوعات والقوى الطبيعية على خدمة اغراضهم ، انما يعون تلك الاغراض ، وتتكون لديهم افكار عن النتائج التي يعتزمون تحقيقها · وهذا لم يكن ممكن الحدوث لولا الانخراط في عملية العمل ·

كذلك يتجلى دور العمل في خلق الشخصية الانسانية · اذ ان الانسان حين يلبي حاجاته الطبيعية الاولى ، وينتج وسائل تقنية لتحقيق ذلك ، انما يخلق لنفسه حاجات جديدة على الدوام · وهذا الخلق هو الذي يحدد طابع انسانيته ، ويميزه عن الكا. الاخرى · اذ بينما تظل دائرة رغبات الحيوان ثابته على الدوام ، نجد ان حاجات الانسان تتسع وتنمو بلا توقف · غير ان ذلك لا يتاتى الا في عملية العمل · لكن يجب الا يفهم من ذلك ان عملية الخلق المجددة هذه هي خلق الحاجات الاستهلاكية التي تعج بها اسواقنا العربية ، وانما الحاجات الانسانية الحقيقية · ونذكر على سبيل المثال ، لا الحصر ، ان الانسان حين يسعى الى الحصول على ما يلبي حاجاتهم العضوية الى الطعام ، انما يخلق حاجة جديدة في هذا المجال ، اعني الحاجةالجمالية التي تمثل الصورة الانسانية للتغذية · وينطبق الامر نفسه على الحاجات الاخرى من ملبس وماوى وحياة عاطفية وعقلية وغيرها · ولا شك انه بذلك يكون قد طور شخصيته وارتقى بها ، وارهف أحاسيسه . وبكلمة واحدة جعلها شخصية انسانية حقيقية · ولولا العمل لما تاتي له تحقيق ذلك ·

كذلك فان خلق الحاجات الجديدة وتزايدها المستمر ، يؤديان الى خلق علاقات اجتماعية جديدة لا تعود تقتصر على نطاق الاسرة وحدها · اذ شيئا فشيئا تتحول العلاقات الحميمة بين الافراد داخل الاسرة الى علاقات من النوع ذاته بين افراد المجتمع · وبالتدريج تتسع دائرة استخدام تلك العلاقات لتشمل النوع الانساني كله· وبذلك يساهم العمل في خلق علاقات جديدة بين البشر ·

غير ان الذي حدث هو ان السيطرة على الطبيعة تطلبت تقسيما اجتماعيا

للعمل · وبمرور الوقت ، وبسبب نشوء نظام الملكية الخاصة ، اقترن التقسيم المذكور بالانفصال بين العمل اليدوي والعمل الفكري ، فادى ذلك الى تقسيم الناس الى طبقات اجتماعية تحدد وضع كل منها الحقوقي والاجتماعي والسياسي وحتى العقلي بحسب الموقع الذي تشغله في نظام الانتاج ، ودورها في التنظيم الاجتماعي للعمل ، وبتعبير ادق ، علاقتها بوسائل الانتاج ·

فما يحدد وضع الطبقات المنتجة على سبيل المثال انما هو ، قبل كل شيء ، واقع انها ليست مالكة لتلك الوسائل · ومن هنا تنبثق وظيفتها في المجتمع ، اعني انها تنتج فضل القيمة ، ولصالح الطبقات الاخرى مالكة الانتاج ·

والحق ان الشروط والمصالح التي تخضع لها كل طبقة ، انما تستدعي ظهور قيم وعادات و « عقلية متماثلة بين افرادها ، متميزة عن قيم وعادات و « عقلية » افراد الطبقة الاخرى · وهكذايجد الافراد ان شروط وجودهم مقررة سلفا ، اي مقررة من قبل الطبقة التي ساقهم موقعهم في عملية انتاج الحياة بالضرورة الى ان يكونوا ، شاؤوا ام ابوا ، من عداد افرادها . وكذلك يجدون ان مركزهم في الحياة وتطورهم معينان لهم من قبل تلك الطبقة · وهكذا تجدهم يصنفون في عدادها ·

غير ان هذا الخلل في العلاقة بين القوى المنتجة وبين العلاقات الاجتماعية للانتاج سيؤدي الى حدوث صراع وتناحر بين الطبقات ، يظل قائما الى ان يتحقق التوافق بينهما · وعندها ، ونتيجة لذلك،يحل الانسان ـ النوع محل الانسان ـ الطبقة، وهو المثل الاعلى الذي تطمح البشرية الى تحقيقه ·

نخلص من كل ما تقدم الى نتيجة اساسية في هذا المقام ، هي ان البشر يتكونون في الجماعات التي ينتمون اليها بواسطة العمل ، غير ان علاقات العمل القائمة على اسس طبقية ، والمحكومة بنظام الملكية الخاصة ، والتي حكمت ذلك التشكل للبشر عبر التاريخ ، فرضت قيودا في كلحقبة من نوع جديد ، جعلت التكون الاجتماعي للبشر يغدو تكونا غير حر ، ومقررا من قبل الطبقات التي قاد موقع كل منهم في عملية الانتاج بالضرورة الى الانتساب ، رغما عنه ، اليها ، ومحكوما بقوانينها · ولذافان التكوين والتنامي الحرين لكل انسان لا يمكن ان يتحققا الا بتحطيم الجماعية الطبقية المقاد الى الانتماء اليها ، واحلال الجماعية الانسانية الحقيقية غير الطبقية محلها ·

لكن ذلك يتوقف على توافر شرط اساسي واحد في هذا المقام ، الا وهو تحطيم علاقات العمل الاجتماعية القائمة على اسس طبقية وتحريرها ، وقيام علاقات من نوع جديد تحل فيها الملكية العامة ، ملكية الشعب باسره ، لكافة وسائل الانتاج محل الملكية العامة ، ويحل العمل التعاوني المشترك محل العمل الفردي ، ويكون تبادل النشاطات الواعي والمنظم هو الاساس في العلاقة الاجتماعية بين الافراد

والفئات ، عوضا عن الخضوع لقوانين السوق العمياء كأساس لتلك العلاقة . اذ ان توافر شرط من هذا النوع يجعل بناء المجتمع وارتقائه وتطوره الحر مطلبا اساسيا وهدفا يعمل كل فرد ، مدفوعا بحاجته الموجودة الى الارتقاء العقلي والبدني والثقافي والفني والخلقي ، على تحقيقهما .

جـ ـ الشـرط الانســاني

قلنا قبل قليل ان العمل يساهم في توسيع دائرة قيام العلاقات الاجتماعية بين الناس لتشمل النوع الانساني باسره . ولهذا فان تحرير علاقات التي اشرنا اليها في الفقرة السابقة لا يتوقف عند حدود المجتمع المحدود الذي ينتمي اليه مجموعة من الافراد او شعب من الشعوب ، وانما يمتد ليشمل المجتمعات والامم ايضا ، ولا شك ان ذلك يعتبر شرطا لا غنى عنه لكي تتحقق الحرية الحقيقية للانسان ، كل انسان . .

ولكي نتحسس اهمية هذا الشرط وضرورته ، دعنا نقرأ بروية بعض مقاطع من كتاب التاريخ البشري الحديث المعاصر ، وبالذات ذلك الجزء منه الذي يحكي لنا قصة تشكل ظاهرة الاستعمار بشكليه القديم والحديث . .

الم يؤد عدم ربط تحقق فكرة الحرية بشرطها الانساني لدى المفكرين البورجوازيين الى تسويغ اغتيال حريات شعوب ضعيفة من قبل شعوب قوية ؟

صحيح ان ظاهرة استعمار الشعوب لا تفسر على اساس ان مفكري الجانب المستعمر نادوا بالحرية دون ان يربطوا تحققها بهذا الشرط الانساني هكذا على نحو ميكانيكي . ومن الخطا ان يفهم قولي السابق على هذا النحو . لكن ما اقصده هو ان اولئك المفكرين ، حين نادوا بالحرية باطلاق دونما تحديد ، انما سوغوا ، وربما من غير قصد، للقوى المتعطشة للثراء استعمارها للشعوب الاخرى واستغلالها، اي انهم زودوا تلك القوى بالغطاء الايديولوجي الزائف الذين فهموا على اساسه، او هكذا ارادوا ان يفهموا ، الحرية بانها حرية ان تفعل ما تشاء .

الم تجر تجارة بيع وشراء الرقيق على هذا الاساس الايديولوجي الزائف من الحرية ، ثم الم تسوغ ابادة شعب بكامله ، الهنود الحمر ، على الاساس نفسه؟

الم يتم باسم الحرية ذاتها ، غير المقترنة بشرط تحققها الانساني ، كل عهر الامم الاوربية الاستعمارية السياسي في العصر الحديث ، وكذلك عهر الامبريالية المعاصرة ؟.

اليس شراء اطفال الامم الفقيرة ، الذكور والاناث الذين يقدرون بالملايين ، والاتجار باجسادهم بعد ان يكبروا من قبل اثرياء الامم الاخرى هو نفسه يتم ايضا

باسم الحرية ، حرية ان تشتري وتبيع ما تشاء ؟ ثم الم يكن ضرب هيروشيما وناكازاكي ، وغزو غرينادا واقتلاع الشعب العربي الفلسطيني من ارضه ، باسم الحرية ايضا ؟.

باختصار القول ان تحقق الحرية الانسانية الحقيقية لا يتم او يظل مهددا ومنقوصا ، الا اذا تحققت لكل انسان اينما كان حريته ، ولا شك ان ذلك يستدعي توافر شرط اساسي في هذا المقام ، اعني احلال التعاون بين الامم محل الصراع ، والاخاء والصداقة الانسانيين محل التعصب . ولكن ذلك بدوره لا يمكن ان يتم الا بتحطيم علاقات العمل الطبقية واحلال العمل التعاوني المشترك محلها .

ثانيا : الشروط الـذاتية

لم يكن مفكرو الاشتراكية ميكانيكي الفهم لكي يسلموا امر تحقق الحرية الحقيقية لفعل الشروط الموضوعية وحدها ، اعني ان يروا ان تطور تلك الشروط ذاتها يؤدي اليا الى تحقيق التوافق بين قوى الانتاج وبين العلاقات الاجتماعية التي تقوم فيما بينها معتمدين اعتمادا على فهم فج والي للمفهوم الحتمية التاريخية. ولا هم كانوا لا ادريين لكي يتركوا الامر المذكور للمصادفة لكي تفعل فعلها في التاريخ ، وتحقق للبشر حريتهم . كذلك لم يكونوا ميتافيزيقيين لكي يقفزوا فوق التاريخ ، ويقدموا الحلول على اساس واه من الافكار التي يصوغها العقل الشامل الحالم وحده .

ان قراءتهم الواقعية الدقيقة لتشكل الانسان عبر التاريخ ، وتسلحهم بمنهج علمي متقدم في تلك القراءة ، قادهم الى الاستنتاج بان قهر ذلك الشكل الطبقي العائق لتحقيق الحرية ، لا يمكن ان يتم الا على اسس طبقية ، اعني ان تقترن فكرة الحرية بشروط تحققها الذاتية التي تقوم على اساس اضطلاع الطبقات المنتجة بدورها التحرري التاريخي الذي يرتكز على ثلاثة شروط اساسية ، اولها الوعي وثانيها الانتماء وثالثها الممارسة .

آ ـ الــوعي

ليست مسالة التحرر بالنسبة الى الفكر الاشتراكي هي الحصول على شروط افضل لبيع قوة العمل من جانب المنتج ، وانما خلق نظام تكف فيه تلك القوة عن ان تباع وتشرى وكانها بضاعة ، وليست شرطا للتحقق الانساني الحر .

غير ان ذلك يستدعي ولا شك الارتقاء بالوعي حيث يدرك المنتج بعمق مجمل حركة التاريخ التي تعطي النضالات الراهنة للمنتجين دلالاتها ، وتجعل منهم وارثين

ثوريين لجميع نضالات البشر بدءاً من تاريخهم السحيق في القدم ، يفتحون للانسانية آفاق مجتمعات بشرية بلا طبقات وبلا قيود .

ان وعي حركة الشكل الطبقي التاريخي للانسان ، الذي امعن في قهره وكرس عبوديته ، وفي الوقت نفسه القضاء على شروط ذلك الشكل واحلال شروط البناء الانساني الحقيقي محلها ، انما يقوم في نظر المفكرين الاشتراكيين على اربع ركائز لا غنى لواحد منها على الآخر .

١ ـ ان نفهم ان الحرية ليست شيئاً فطرياً وداخلاً في التكوين الطبيعي للانسان ، وانما هي شيء ينتزع ، وينتزع بالتدريج شيئاً فشيئاً ، ويتحقق في مجرى عصور من النشاط الانساني الاجتماعي .

بمعنى آخر اقول ان الانسان لم يولد حراً كما يقول المفكرون الآخرون وانما ولد مخلوقاً تحدده ظروف مستقلة عن ارادته . وبفضل حياته الاجتماعية وقوانين تطورها يطور بالتدريج ، وفي الممارسة الاجتماعية ، قدراته التي تجعله يصبح حراً فيما بعد ، وهو يفعل ذلك في صراع مع الطبيعة الخارجية ، وفي صراع اجتماعي وطبقي . انه يخلق لنفسه وينتزع لها تلك الحرية التي يتملكها فيما بعد وهو لا يستطيع ان يتملك اكثر مما خلق وانتزع لنفسه ..

كذلك يتعين ان نفهم ان عملية انتزاع الحرية هي عملية تدرجية تاريخية ، تخضع في كل مرحلة لقوانين موضوعية خاصة بها ، يخرج الناس عبرها ، أي عبر هذه التدرجية، من حالة الافتقار الكامل الى الحرية ، حيث لا يتحدد ما يفعلونه بقرارهم الواعي ، وانما بظروفهم ، ويكسبون الحرية بالتدريج ، ويرتقون في نهاية المطاف الى مرحلة يقررون فيها بوعي مصيرهم على اساس معرفتهم باحتياجاتهم ، ولسيطرتهم الواعية على طرق تلبيتها .

ان الحرية ليست كما يقول الميتافيزيقيون كل شيء او لا شيء ، ان ان نكون احراراً اولانكون. وانما هي اننا قد نكون احراراً في بعض النواحي ، وغير احرار في بعضها الآخر ، ونكون اكثر او اقل حرية . انها مسألة درجة ولذا فهي عملية تدرجية تاريخية فطالما اننا لا نجعل انفسنا احراراً الا بقدر ما نبين ان قراراتنا الواعية هي التي تحدد ما نفعل وما نحقق ، فان زيادة ذلك القدر او نقصه هي التي تحدد درجة الحرية التي نحققها .

ما اريد ان اقوله هو ان عملية تحقيق الحرية لا تتم دفعة واحدة والى الابد ، وانما تتقدم ، وبطريقة تدرجية ، من مرحلة الى مرحلة ارقى الى ما لا نهاية . وتتحقق كل مرحلة نتيجة للصراع ضد القيود التي يفرضها نظام محدد من الحكم على الحرية ، وتنتج بدورها قيودها عليها ، فقد انتهى الحكم الاقطاعي في اوربا

على سبيل المثال نتيجة للصراع الذي قادته البرجوازية ضد القيود الاقطاعية . وكانت هذه خطوة الى الامام لحرية الانسان ، جلبت معها اشكالاً جديدة للاستغلال والقهر ، لكنها ايضاً حققت الوان تقدم جديدة ، وكسباً لحقوق وحريات سياسية اوسع .

ولا ينبغي في هذا المجال ان نكون حالمين فنتصور ان الحرية تتحقق بالكامل بمجرد انتصار الاشتراكية . فهذا النظام له هو ايضاً قيوده على الحرية ، وبالتالي سيكون للبشر طرائقهم في ظله للتخلص من تلك القيود ، وان تكن قيوداً من نوع مختلف عن القيود التي تفرضها الانظمة الطبقية وبكلمة اقول ان عملية تحقق الحرية لن تتوقف طالما كان للبشر تاريخ .

٢ ـ سيظل هذا الوعي قاصراً ، ويعجز عن لعب دوره الفاعل في عملية انتزاع الحرية ان لم يكن في البداية وعياً طبقياً . فقد بينا في معرض حديثنا عن الشكل التاريخي للانسان ان شروط وجود الناس مقررة سلفاً من قبل الطبقة التي ساق موقع كل منهم في عملية انتاج الحياة بالضرورة الى ان يكون ، شاء ام ابى ، من عدادها وان مركزه في الحياة وتطوره معينان من قبلها ، ولهذا فانه لا يجب ان يتوهم احدان في مقدوره انتزاع حريته بمفرده اولا ، وان في مقدوره ان يكون حراً كفرد ثانيا .

على العكس من ذلك فان عملية انتزاع الحرية لا تتم الا بفعل نضالي جماعي من قبل افراد تلك الطبقة ، وان تحققها او ممارستها لا تكون الا بالممارسة الجماعية لها . اذ لا وجود لفرد حر الا في جماعة حرة .

ان كل تصور للحرية انما يعبر عن الوضع الطبقي لما ينادي به ، كل طبقة تطلق اسم الحرية على صيانة امتيازاتها الطبقية ، فالحرية بالنسبة الى البرجوازية تعني الحفاظ على « المشروع الحر » . اما بالنسبة الى الطبقات المنتجة فهي تدمير ذلك النظام ، واحلال المشروع الجماعي الانساني محله . وهكذا تنتهي مع مفكري الاشتراكية الى ان مشكلة الحرية هي مشكلة تاريخية واجتماعية، اي انها مشكلة طبقية ، ولذا فان الوعي الطبقي هو شرط ضروري لانتزاعها .

٣ ـ لما كان من غير الممكن تجاوز اوضاع طبيعية واجتماعية معينة وتحرر من قيودها دون معرفة آلية عملها فان معرفة الضروري والحتمي وشروط تحققهما في الطبيعة والمجتمع تغدو شرطاً ضرورياً لا غنى للوعي عن التزود بها .

ان السيطرة على الطبيعة التي تشكل ، اذا ما عصي على الانسان فهمها ، احد اهم العوائق في طريق تحقيق الحرية لا تعني ادنى استقلال للانسان عن القانون

الطبيعي والظروف الطبيعية على العكس من ذلك ، فان ما تعتمد عليه تلك السيطرة ليس هو الغاء القوانين الطبيعية والضرورة الطبيعية ، وانما هو معرفتها واستخدامها الواعي .

وبالمثل فان الناس حين يتعلمون ايضا ان يتحكموا في نشاطهم الاجتماعي ويوجهوه الوجهة الصحيحة ، كيما يشبعوا احتياجاتهم المادية والثقافية ، فان هذا لا يعني انهم يلغوا الاستقلال عن قوانين المجتمع الموضوعية ، اي الاستقلال عن الضرورة الاجتماعية . على العكس من ذلك ، فان ما يعتمد عليه ذلك ليس الغاء قوانين المجتمع الموضوعية ، وانما هو معرفة تلك القوانين واستخدامها الواعي . ليس انهاء الضرورة في المجتمع ، وانما ادراكها ، وتوجيه النشاط الاجتماعي بما يتفق مع ذلك الادراك .

ومن هنا فان الناس ليسوا ابدا وفي اي جانب واي نشاط مستقلين من القوانين الطبيعية أو الاجتماعية ، ومن اثارها الضرورية . وينتج عن ذلك انه بقدر ما يفتقرون الى معرفة هذه القوانين واثارها ، فانهم مقيدون غير احرار .

لقد ادرك مفكرو الاشتراكية هذه الحقيقة . ولذا جاء تعريفهم للحرية بانها « وعي الضرورة » ليعكس ذلك الفهم . غير انه لا يجب أن يفهم من هذا التعريف ان المسألة كانت بالنسبة لاولئك المفكرين مجرد معرفة او وعي فحسب ، وانما المقصود السيطرة على ظروف النشاط الحياتي الانساني الطبيعية والاجتماعية ، على اساس من المعرفة . اي ان المفكرين المذكورين اهتموا بالجانب المعرفي من المسألة بقدر ما يستطيع هذا الجانب أن يقدم اساسا نظريا لتحقيق الحرية الانسانية تحقيقا عمليا ، لتحقيق سيطرة الناس على القنوات الطبيعية والاجتماعية ، والتي لاتكون ممكنة الا عن طريق تحويل هذه القنوات الى اسس للاعمال الانسانية ، يدركها الوعي ادراكا عميقا .

يقول انجلز : لا تتألف الحرية من حلم الاستقلال عن القوانين الطبيعية وانما من معرفة هذه القوانين ، والامكانية التي توفرها هذه المعرفة لجعلها تعمل بشكل منظم نحو غايات محددة . وينطبق هذا على كل من قوانين الطبيعة الخارجية والقوانين التي تحكم الوجود البدني والذهني للناس انفسهم . وهكذا فان حرية الارادة لا تعني الا القدرة على اتخاذ القرارات مع معرفة الموضوع . ومن هنا تتألف الحرية من السيطرة على انفسنا وعلى الطبيعة الخارجية . وهي سيطرة تقوم على معرفة الضرورة الطبيعية والاجتماعية .

لكن لما كانت المعرفة تتوقف على الممارسة ، فان لنمو المعرفة ، كذلك تأثيرا تحويليا على الممارسة . اذ انه بقدر ما نعرف خواص الاشياء وقوانينها بقدر

ما نستطيع السيطرة عليها في الممارسة ، أي ان نجعلها خاضعة لنا بدلا من ان نخضع نحن لها . ويسهم نمو المعرفة وهو نتاج لسعي الانسان الى السيطرة على الطبيعة وتنظيم حياته الاجتماعية في تحقيق هذه السيطرة خطوة خطوة ، واقامة اشكال ارقى من التنظيم الاجتماعي وتحقيق امكانية حياة حرة كاملة للجميع .

وهكذا نجد ان كون الوعي شرطا ذاتيا لتحقيق الحرية انما يتوقف ، من جملة ما يتوقف ، على ان يكون وعيا بالضرورة ، اي بالقنوات التي تسري في الطبيعة والمجتمع على حد سواء . اذ من دون ذلك ، اي من دون ان نعرف الضرورة الموضوعية التي تضبط مجرى الاحداث الطبيعية والاجتماعية فان السيطرة على تلك الاحداث والتحكم بها ، وبالتالي التصرف بحرية ، تغدو امرا متعذرا .

٤ — على ان الوعي المذكور يظل قاصرا اذا ما ظل محصورا في اطار فهم الضرورة القائمة في المجتمع في لحظة معينة بالذات . فالعلاقات بين البشر لم يحدث ان استقرت على حالة واحدة تظل على ما هي عليه الى الابد . وانما هي ، كالمجتمع ، في حركة وتطور دائمين يتعين على الوعي الاحاطة بقوانينهما لكي يكون في الامكان توظيفه لانتزاع المزيد من الحرية الحقيقية . وهذا يعني ان احدى الركائز الاساسية للوعي المذكور هي ان يحيط بقوانين التطور الاجتماعي كشرط لا غنى عنه لتحقيق الحرية .

وفي هذا الصدد . فان ما يتعين الاحاطة به يتحدد في معرفة ان الاساس في جميع حركات التحرر حتى الان انما هو قوى منتجة محدودة ما كان انتاجها يجعل التطور ممكنا الا اذا لبى بعضهم حاجاته على حساب الاخرين .. وهكذا تطور المجتمع حتى الان في اطار التعارض الاساسي ، هو التعارض بين الاحرار والعبيد لدى القدامى ، وبين النبلاء والاقنان في العصر الوسيط ، والتعارض بين البورجوازية والقوى المنتجة في العصور الحديثة .

كذلك ينبغي معرفة أن جعل هذه التناقضات انما هو محرك التاريخ ، وان هذا التناقض بين القوى المنتجة وشكل العلاقات القائمة لابد في كل مرة من ان ينفجر في ثورة ، اخذا في الوقت نفسه اشكالا ثانوية متباينة ... صدامات بين طبقات شتى ، وتناقضات في الوعي ، وصراع ايديولوجي وسياسي ، وسيستمر الحال على هذا النحو الى ان يتحقق التطابق بين حالة القوى المنتجة وعلاقات الانتاج . وهو القانون الاساسي للتطور التاريخي .

وينبغي ايضا معرفة ليس قوانين التطور الاجتماعي فحسب ، وانما الطريقة التي تعبر بها تلك القوانين عن نفسها ، وكيف تتأقلم في الظروف المعينة ، وكذلك تشخيص العوامل المتعددة التي تؤثر على مسيرة الحوادث ، مثل مستوى وعي

وتنظيم الطبقات المنتجة وحلفاء تلك الطبقات المؤقتين والدائمين ، ووضع حزبها وسياسته ، والتأثير الذي تمارسه الاحزاب البورجوازية عليها وعلى المجتمع ، ووضع القوى المتصارعة في العالم ، وغير ذلك من العوامل .

كذلك يجب معرفة الشروط التي تفعل في اطارها تلك القوانين ، بغية التأثير فيها ، واستخلاص النتائج المرغوبة ، وحصر النتائج الصادرة لبعض القوانين الاخرى . وتجنب نتائج بعضها بتحريك فعل القوانين المعاكسة لها .

ويجب ايضا معرفة انه يتعين مواجهة العملية التاريخية بوصفها ليست العام وحده والخاص وحده ، وانما هي وحدتهما معا . فالقوانين العامة التي تقرر اتجاه حركة التاريخ انما تختلط مع القوانين التي تطبع سماتها الخاصة على تطور هذا الشعب او ذاك ، وحسب مستوى تطوره الاقتصادي ، ونوع تشكيله الاجتماعي والقومي ، ووضعيته الجغرافية ، وموقعه في مجال العلاقات السائدة . ان العلاقة بينهما علاقة جدلية . فالعام لايفصح عن نفسه مطلقا بشكله النقي . وهو يترافق دائما مع الخاص ، ويتجلى من خلاله .

واخيرا نقول ينبغي معرفة انه من اجل استخدام قوانين التطور الاجتماعي لصالح المجتمع عمليا ، لابد من توافر ظروف ذاتية وموضوعية معينة : مثل تواجد قوى اجتماعية معينة قادرة على النهوض بمهمة قلب النظام الاجتماعي السائد ، ومستوى معين من التطور الاجتماعي والاقتصادي يهيء لتلك اسباب تلك المهمة .

والحق نقول انه من دون المعرفة المذكورة واستخدامها كسلاح تتسلح به قوى التغيير الحقيقي ، فان تحقق الحرية يصبح مشكوكا فيه .

ب ـ الانتماء

صحيح ان المعرفة شرط اساسي لاغنى عنه لبلوغ الحرية كما اسلفنا قبل قليل ، لكن تلك المعرفة تظل قاصرة ولا تلبي مطلب الحرية ان لم تكن هادفة ، اعني ان توظف في خدمة الاغراض والغايات الانسانية الحقيقية . ولكن لما كان من العسير تحقيق ذلك من الوجهة العملية الا من خلال جماعة معينة يكون الانسان واحدا من افرادها ، فان الانتماء الى تلك الجماعة والتسلح باخلاقها يغدوان مندمجين شرطا اساسيا لتحقق الحرية .

غير ان الذي يجب التنبيه اليه في هذا المقام ، هو انني لا استخدم لفظ الانتماء بالمعنى المطلق للكلمة ، فقد بينت فيما سبق ان الوظيفة التي ينجزها شخص ما انما تحدد طبيعتها بنوع الجماعة التي تفرض عليه ظروف مادية واجتماعية

معينة ان يكون واحدا من اعضائها . ولكي لا ننساق الى حالة من عدم التحديد تترتب عليها عدم ربط الافكار الانسانية بشروط تحققها كما يفعل المفكرون البورجوازيون ، فاننا نقول ان الجماعة التي يتعين الانتماء اليها انما هي بالتحديد تلك التي تتفق مطالبها مع مطالب تحقيق الانسان الشامل ، الذي هو كل انسان ، اي الجماعة التي تتيح شروط كل حياة انسانية حقيقية .

وفي هذه الحالة ، فان الانتماء الذي نقصده انما هو الذي يوجه الفعل الرامي الى تحرير الانسان من كافة العلاقات الاجتماعية التي تؤدي الى اغترابه عن شروط الحياة الانسانية التي ينتجها ، والمساهمة في ارتقائه .

وللتوضيح اكثر نقول ان هناك مطالب انسانية حقيقية شاملة تفرضها طبيعة الانسان بوصفه انسانا ، بعضها سلبي والاخر ايجابي ، فالمطالب السلبية هي الا يكون الانسان مستعبدا او مستعبدا لاخر ، ولا مستغلا له او مستغلا من قبله ، ولا تابعا او متبوعا ، ولا مزاحما او مزاحما ، ولا متصدقا او متصدقا عليه ، ولا محتاجا او لديه مايفيض عن حاجته . وباختصار القول يجب الا تكون هناك حالة اجتماعية تحول دون أن تكون شروط بناء الانسان الحقيقي المادية والاجتماعية متحققة لكل فرد بشري ، وعلى قدم المساواة مع الاخرين .

اما المطالب الايجابية فهي ان يكون الانسان حرا ، وتتهيأ له الفرص نفسها التي تتهيأ للاخرين لكي يتزود بالمعرفة والثقافة ، ويكتسب المهارات الفنية والعقلية ، ويكون في مقدوره التعبير عن طاقاته وقواه الابداعية الدفينة ،واختيار الدور الذي يتناسب لبناء المجتمع الانساني الحقيقي .

لكن لما كان تحقيق المطالب المذكورة امرا متعذرا الا في ظل علاقات اجتماعية لا طبقية ، فمن الطبيعي ان يكون الانتماء المذكور انتماء الى الجماعات التي تسعى الى تحقيق تلك المطالب ، اي الجماعات التي تعمل على القضاء على كل القيود الطبقية المسؤولة عن قيام الحالات غير الانسانية عبر التاريخ . ومن الوجهة العملية ، فان الانتماء المذكور هو ممارسة الافعال والادوار التي يكون هدفها القضاء على الشروط المادية والاجتماعية التي تحول دون تحقيق انسانية الانسان . ولاشك ان افعالا من هذا النوع هي وحدها الافعال التي تمثل الاخلاق الحقيقية .

جـ ـ الممارسة

لما كان من غير الممكن ، لتحقيق المطالب المشار اليها في الفقرة السابقة ،

الركون الى عفوية الجماهير ، فان ايصال الوعي الثوري اليها ، وتنظيم فعلها ، يغدوان شرطين لاغنى عنهما لتحقق الحرية .

صحيح ان الجماهير تحس اعتمادا على حسها السليم وفي اغلب الاحيان ، الوضع غير الانساني الذي تجد نفسها فيه ، والازمات العصرية التي تمر بها ، لكن ذلك لايكفي وحده لكي يكون دليلا على انها تعي قضاياها . فما لم يرتق وعيها الى مستوى الوعي لمجمل حركة التاريخ التي تعطي لنضالها دلالتها ، وتجعل منها وريثة ومتابعة لجميع نضالات الانسان عبر التاريخ ، فان ذلك الوعي يظل اقل من المستوى المطلوب لكي تستطيع تلك الجماهير بدورها الرامي الى الوصول الى مجتمع بلا طبقات وبلا اغتراب للانسان . ولاشك ان مهمة من هذا النوع ، اعني ايصال الوعي المذكور الى الطبقات المنتجة ، انما تقع على عاتق حزب تلك الطبقات الذي هو اداة تحررها الاساسية . فاندماج الطبقات المنتجة ونظرية الانسان الشامل في هذا الحزب اي وعي دلالة مجمل الحركة التاريخية من قبل القوى الواقعية الوحيدة القادرة على ان تستاصل من الجذور اغتراب الانسان في المجتمعات الطبقية ، انما يشكل مرحلة حاسمة في انتزاع الحرية . وبغير ذلك تظل قوى القهر قادرة في كل مرة على خنق حركة الجماهير وتفتيتها وتوجيهها بما يكرس تبعيتها لها ، واجهاضها . ولا اجدني بحاجة الى التوسع في توضيح اهمية الدور الذي يكون لممارسة الجماهير الرامية الى قلب الانظمة الاجتماعية الطبقية القائمة من خلال انتظامها في حزب طليعي ثوري . فالادبيات الاشتراكية في هذا المجال اصبحت تشكل الف باء كل ثقافة تقدمية في العالم ★ .

(*) ـ القيت هذه الدراسة في الندوة الفكرية « الحرية » التي اقامها مكتب الاعداد القطري في دمشق بتاريخ ١٢ ـ ١٢ ـ ١٩٨٦ .



الصراع الايديولوجي العالمي المعاصر وعلاقته مع الثورة العلمية التكنولوجية

الرفيق: خيري حما

يمكن للقراءة الدقيقة لما يجري في عالمنا المعاصر اليوم من تطورات متسارعة في اكثر من مجال ومجال ، ان تجعل المرء منا قادرا على الاستنتاج بان ارتفاع حرارة وتيرة الصراع الايديولوجي وحدته تزداد تعقدا وتنوعا واشكالا ومسارات وبخاصة على صعد الفكر وانواع العلوم المختلفة وفي مقدمتها علما الاجتماع والتكنيك . واذا كنا من قبل قد سلطنا بعض الضوء على عدد من القضايا والمشكلات المهمة والخطيرة التي يطرحها ذلك الصراع فاننا نرى من الاهمية بمكان ان يتناول هذا الموضوع مسالة اخرى لا تقل اهمية عن تلك التي سبقتها بالبحث وهي مسالة الثورة العلمية ـ التكنولوجية المعاصرة بوصفها تشكل حاليا احدى اقوى محاور الصراع

الايديولوجي بين قوى التقدم والاشتراكية وقوى الرجعية والاستغلال والراسمالية في العالم .

ان محور الصراع هذا ـ وكما سيتضح بعد قليل ـ يؤكد الحقيقة القائلة بان الصراع القائم بين تلك القوتين لن يكون صراعا قابلا للتصالح بل ولسوف تشكل نتائجه على المدى البعيد الحد الحاسم والفاصل بين ماضي الانسانية ومستقبلها خصوصا وان هذه الثورة العلمية ـ التكنولوجية قد فاقت في انجازاتها المذهلة كل ماهو متوقع ، كما ونوعا ، وان كان الاخطر منها ميادين الاسلحة والاجهزة المعقدة المرتبطة بها سواء منها ماهو على صعيد الاستخدام في المجال الارضي او ماهو منها على صعيد الفضاء الخارجي المحيط به .

وهذا ما يعني ان الثورة العلمية ـ التكنولوجية وضمن منطق الصراع الايديولوجي والتاريخي بين النظامين الراسمالي والاشتراكي قد طرحت على بساط البحث مشكلات مستجدة وخطيرة تستلزم ايجاد الحلول الحاسمة التي تكفل امن وسلام البشرية واسقاط خطر التهديد بفنائها .

ان الحقيقة السابقة جعلت من المشروع لنا ان نطرح الاسئلة التالية : ما هي ماهية الثورة التكنولوجية واين ميادينها ثم ماهي مهامها وفوائدها والاشكال التي تتجلى بها وهل حقا ستكون في منظومات القيم والمفاهيم والاتجاهات السائدة حاليا او احداث ثورة تواكبها على صعيد الفكر الانساني جذورا ومرتكزات ، ثم هل يمكننا التنبؤ بما يمكن ان يكون عليه مستقبل الانسانية في المدى المنظور وما هي الامكانات المتاحة للتطور التي تقدمها هذه الثورة العلمية ومنعكساتها الخطيرة والبارزة على العمليات الاجتماعية ومسالة فهم الاحزاب الثورية لهذه الاشكاليات المعقدة وموقفها نحوها وخصوصا منها حزبنا ، حزب البعث العربي الاشتراكي ؟ ....

اولا : ما هية الثورة العلمية ـ التكنولوجية وميادينها ومهامها وفوائدها :

ان البحث في موضوعة الثورة العلمية ـ التكنولوجية يفترض بادىء ذي بدء ان نحدد لها تعريفا دقيقا ننطلق منه في بحث كل القضايا المتصلة بها والتعريف المقترح ها هنا هو : **يقصد بالثورة العلمية ـ التكنولوجية الانجازات الكبرى في ميادين الاتمتة وغزو الفضاء الكوني والطاقة الذرية والمواد التركيبية (1) وعلى جميع الصعد التي تتناول الصناعة والزراعة والصحة والاعلام الخ .. الخ ..** ومن الملموس ان الربع قبل الاخير من هذا العصر قد شهد تغيرات وتطورات هائلة جدا وبوتائر متسارعة بل ومذهلة الى حد كبير عكستها هذه الثورة المتواصلة الى درجة يمكن القول فيها ان ما يشهده جيل القرن العشرين من منجزات علمية وفي مدى قصير جدا يساوي في الاعتبار ما كانت تشهده اجيال عدة على مدى مئات السنين المنصرمة فلقد كان الانسان في الماضي منذ مولده وحتى مماته يعمل في نطاق شروط انتاج محددة لا تتغير وان تغير بعضها فببطء شديد بينما نرى اليوم انه بين الساعة والاخرى واليوم والتالي هناك انجاز علمي تكنولوجي جديد يؤثر في شروط الانتاج القائمة ويعدل منها باستمرار وبما يوفر الجهد والوقت ويضاعف الانتاج في الوقت نفسه مما يمكن معه وعلى المدى الطويل التنبؤ بظهور نظام انتاجي جديد يخلف الانظمة الانتاجية الموجودة حاليا .

وهذه الثورة العلمية ـ التكنولوجية بمنطقها الجدلي الخلاق لم تكن اسيرة بعض الدول المتقدمة صناعيا فحسب بل انها اتخذت طابعا شموليا عالميا تجاوزت فيه الحدود الجغرافية وباتت مبادئها وعلومها والكثير من منجزاتها في تناول العديد من الاقطار التي تنشد التقدم والرقي الحضاريين .

---

1 ـ فولكوف : الانسان والثورة العلمية ـ التكنيكية ـ دار التقدم موسكو ـ ص ٦

وليس بخاف على احد ان اي تطور اقتصادي او اجتماعي مهما بدا شانه لا بد له وان يحقق الفائدة المرغوبة من نتائجه على مختلف الصعد لذلك فان المجتمع البشري عموما يعيش اليوم نقطة انعطاف كبرى بين مرحلة تاريخية انتهت وبداية مرحلة جديدة اخرى اخذت ترتسم ملامحها الواضحة بسرعة كبيرة الامر الذي يعني من الناحية التاريخية ــ الاجتماعية وعلى صعيد النظام الراسمالي تحديدا غياب لقوى طبقية منتجة قديمة وظهور لاخرى جديدة ضمن منطق الصراع الاجتماعي الطبقي التاريخي الذي شارف على خلق الظروف الموضوعية والذاتية لبداية هذا التحول الكبير في نهاية هذا العصر الحديث وهذه الحقيقة **التاريخية ــ الاجتماعية تؤكد المقولة العلمية ــ الاشتراكية التي تفيد بان القانونية الموضوعية لابد وان تتم ضمن عملية الانتقال من المجتمع الطبقي الراسمالي الى المجتمع اللاطبقي الاشتراكي .**

وبعد دخول هذه الثورة العلمية ــ التكنولوجية مختلف الميادين الانتاجية وتاثيرها في نمط حياة الناس في الارض والمصنع وتلمس فوائدها الكبرى من اختصار للوقت والجهد وتحقيق الراحة والمتعة اصبح السؤال مشروعا امام العالم كله **الى اين سوف تمضي هذه الثورة وهل بالمستطاع ان يتنبأ المرء بانها ستكون في صالح خيره او انها ستكون موجهة ضده ؟ .. ان الاجابة عن هذه الاسئلة قد طرحت بدورها عددا من المشكلات الحادة امام المجتمعين الراسمالي والاشتراكي من ناحية اولى وامام بلدان ــ العالم الثالث ــ من ناحية ثانية ولعل من اهم هذه المشكلات الحادة هو محاولة استغلال العالم الراسمالي لنتائج هذه الثورة في اطار الصراع الايديولوجي مع العالم الاشتراكي والبلدان النامية .**

فالعالم الراسمالي الامبريالي ورواد مدرسته البرجوازية الايديولوجية ولتسويغ استغلالهم لتلك النتائج قاموا بصوغ نظرية جديدة تعتمد في حججها على التضليل والخداع كوسائل توصل الى الغاية ، غاية دوام النظام الراسمالي وتمديد اجله ما امكن ذلك ويدعي هؤلاء المفكرون الرجعيون في نظريتهم تلك ان البحث اليوم

في المسائل الاجتماعية على اساس تاريخي لم يعد يوجد ما يسوغه ولذلك فان عملية الصراع الايديولوجي القائمة بين النظامين الراسمالي والاشتراكي يجب ان تنتهي او هي في حالتها نحو الانتهاء الان وان التعاون بين هذين النظامين هو الامكان الوحيد امامهما ، والذي سيكون الاعظم في نتائج الثورة العلمية ــ التكنولوجية على الصعيد الاجتماعي ويحاول هؤلاء البرهنة على وجهة نظرهم تلك بان مسار الصراع اليوم كما يتجلى يتمحور حول قضايا التقدم العلمي فحسب وهو بشموليته وسرعته يتخطى منطق الصراع الاجتماعي التاريخي وعليه فان هذه الثورة بطابعها الانساني الشمولي هذا قد اصبحت تمثل الحقيقة الاولى والكبرى التي يعيشها النظامان الاشتراكي والراسمالي وامامها تضاءلت اهمية اي ثورة اخرى ضرورية ومهما كانت مسوغاتها .

وهذه الادعاءات البرجوازية تخلص الى القول بان هذه الخصوصيات لثورة العلم والتكنولوجيا قد ضيقت من مساحات التباعد بين النظامين المتناحرين وهي في طريقها الى خلق قواسم مشتركة بينهما ستكون احدى سماتها الرئيسة التعاون في جميع المجالات لخير الانسانية جمعاء .

وقد لجأ مفكرو المدرسة البرجوازية الايديولوجية هذه الى خوض حملات فكرية متتالية بين صفوف شعوبهم اولا وعلى صعيد البلدان الاشتراكية والنامية ثانيا لاثبات نظريتهم المضللة هذه والعمل على خلق قناعات زائفة لدى الناس وخاصة في البلدان الاشتراكية تفيد بان الصراع المرير بين النظامين قد ولى وان عصر الوئام قد بدا على متن العلم ومنجزاته الثورية الكبرى .

ويمكن للمرء وببساطة ان يكتشف مدى الفشل الذي منيت به هذه النظرية واصحابها من حيث عدم نجاحها في اثبات مصداقيتها ولمخالفتها لقوانين التطور الاجتماعي ــ التاريخي اولا وللتناقض الذي عكسته على صعيد واقع البلدان الراسمالية نفسها ثانيا فهذه النظرية بافكارها التصالحية المزعومة تلك في مجال الفكر الراسمالي

الايديولوجي لا تنسجم مع ما يقابلها من محاولات حثيثة تقوم بها المراكز الراسمالية الامبريالية العالمية وعلى راسها الولايات المتحدة الاميركية للافادة من النتائج العظيمة للثورة العلمية التكنولوجية لا من اجل خير البشرية بل من **اجل فنائها وذلك عبر تسعير احدة الصراع العالمي وغزو الفضاء وعسكرته ضمن نطاق ما يسمى بمبادرة « حرب النجوم » لتحقيق التفوق على البلدان الاشتراكية وتبديد امكاناتها واضعافها في حرب سباق جديد للتسلح وفرض الاستسلام عليها** هذا اذا ما غضضنا النظر عن وسائل الصراع الاخرى غير العسكرية التي تستخدمها الامبريالية العالمية انسجاما مع نزعتها من اجل السيطرة والعدوان .

وعلى النقيض تماما من المدرسة البرجوازية وطروحها **يعمل** رواد المدرسة الاشتراكية العلمية على تاكيد ان هذه الثورة العلمية التكنولوجية يجب ان تكون وبالضرورة في صالح الانسان وجوهره **الخير خصوصا بعدما اصبحت** منجزات هذه الثورة في متناول يده في مختلف مجالات عمله واسلوب معيشته وقدمت حلولا حاسمة للكثير من المشكلات التي كانت تواجهه ان على صعيد العمل وان على صعيد الحياة نفسها حيث غدا الارتباط بين الانسان والاختراع العلمي الحديث والتطور المتسارع هو السمة الرئيسة لنهاية هذا العصر وابتدائنا بعصر جديد يحمل الكثير من المفاجات المذهلة على صعيد الوجود الانساني واشكال تطوره . **ويفيد رواد الفكر الاشتراكي ان هذه السمة وتلك المنجزات تنسجم مع منطق التطور الصاعد وجدله الخلاق كما اشارت اليه النظرية العلمية الاشتراكية وهو الامر** الذي يبشر بقرب زوال النظام الراسمالي وحلول المجتمع الاشتراكي مكانه كما يؤكد هؤلاء، **ان خطورة هذه المنجزات تستدعي عملية التحكم بها وتوجيهها في المسار السليم لخير الانسان ورصد تاثيراتها الايجابية والسلبية على العمليات الاجتماعية لتحليلها وجعلها في النتيجة تخدم مصالح مجموع البشرية كما ويؤكد رواد الفكر الاشتراكي العلمي ان مسالة عدم التحكم**

بهذه المنجزات وبالاستخدام الامثل لها وبمسار الثورة العلمية التي تنتهجها فلسوف يؤدي ذلك الى خروجها عن اهدافها العلمية والانسانية ويجعلها ادوات للتدمير والتخريب موجهة اساسا ضد خير البشرية ومستقبلها .

ان زعم المفكرين البرجوازيين الذي سبقت الاشارة اليه يمكن فهمه كما يرى رواد المدرسة الاشتراكية **العلمية هو دعوة ليست** جديدة لاعادة النظر في منظومات القيم والمفاهيم والعقائد والافكار من قبل طرف واحد هو الفكر الاشتراكي اي انه دعوة له لاسقاط **نفسه ومرتكزاته ووضع نفسه تحت تصرف الفكر الراسمالي ومقولاته المشوهة والمضللة الساعية الى احتواء العالم مادة وفكرا.**

ومن هنا كان الرد الانسب على اولئك الرجعيين بتفنيد مزاعمهم ووضع الحقائق جلية امام شعوبهم لتعبئتها ولتحريكها ضد الخطر الذي يتهددها ويتهدد معها مصير البشرية كلها .

نقطة تالية يثيرها مفكرو العلم والاشتراكية وهي ان الاتجاه البرجوازي الجديد انما يدخل اليوم في نطاق اخفاء الصراع الطبقي الذي تعيشه المجتمعات الراسمالية ومحاصرة نتائجه الاجتماعية ومحاولة جعله يراوح في المدى الحالي الذي بلغه وصرف الانظار عن اهميته وجعل الاهتمام الكبير منصبا فقط حول الثورة العلمية التكنولوجية وما تقدمه من انجازات ضخمة وامكانات واعدة اكثر والظهور بمظهر حب السلام والتعاون للافادة المشتركة بين النظامين الاشتراكي والراسمالي من النتائج العلمية الباهرة في مجال البحث والانجاز العلميين المعاصرين .

ونقطة اخرى تؤكد ان احدى اهم المشكلات المستجدة التي طرحتها الثورة العلمية ـ التكنولوجية في البلدان الراسمالية ويعمل المفكرون الراسماليون على تجاهلها هي وقوع الآلاف من العمال الزراعيين والصناعيين ضحية لهذه الثورة ومنجزاتها هناك اذ ان المصانع والمزارع التي تمت مكننتها ودخلها علم السبرنتيك

وحلت فيها الآلة (الروبوت) و (الكومبيوتر) محل الانسان شردت الوف العمال الاساسيين الذين تم الاستغناء عن خدماتهم بسبب ذلك وبالتالي اصبح هؤلاء يعانون الفاقة والحرمان والضياع والخضوع كليا لقوانيس المجتمع الاستهلاكي الراسمالي وامراضه كافة .

والملاحظ ان البلدان الاشتراكية بحرصها الدائب على الانسان وخيره ومستقبله العادل والآمن وضعت الخطط والبرامج لكي تتجنب مثل هذه المشكلة والعمل على الافادة من طاقات الانسان في مجالات اخرى والاعتماد عليه ليكون ركيزة هذا التحول العلمي التكنولوجي ومؤداه اي ليكون الانسان الاشتراكي هو المنطلق وهو الغاية بالوقت نفسه . وباختصار نستطيع ان نقول ان هذا الصراع الدائر اليوم بين الاتجاهين الراسمالي والاشتراكي حول الثورة العلمية ـ التكنولوجية والافادة من منجزاتها وما يطرحه من اشكاليات معقدة وكثيرة لن نكون نحن في البلدان النامية ودول حركة التحرر الوطني بمنأى عنها بسبب الطابع الشمولي لهذه الثورة العلمية كما ذكرنا والتي تخطت كل الحدود الاقليمية والعالمية ووصلت الى بلداننا على نحو او اخر وباتت ايضا تطرح امامنا مشكلات حديثة ومعقدة اضافة الى المشكلات المزمنة القائمة اصلا في مجتمعاتنا النامية . **ولعل من اهم تلك المشكلات سعي الكتلة الراسمالية الى جعل بلدان العالم النامي اسواقا لتصريف انتاجها من تلك المنجزات والتي تتسم بالنمط الاستهلاكي اولا وتخلفها امام ما قد تجاوزها من منجزات احدث وارقى ثانيا وهذا** المسعى الراسمالي الخطير ان هدف لشيء فانما يهدف اولا واخيرا الى تحويل المجتمعات النامية من اتجاه الانتاج والتنمية الى قناة الية التبعية والاستغلال والاستهلاك وعلى هذا النحو تتحول هذه الثورة وبمنجزاتها في دول حركة التحرر الوطني والعالم النامي الى عامل اعاقة وعبء كبيرين عليها بدل مساعدتها في حل مشكلاتها الاساسية والانطلاق نحو التقدم والتطور الحضاريين .

ثانيا : الاحزاب الثورية التقدمية والثورة العلمية ـ التكنولوجية :

تعيش دول حركة التحرر الوطني والبلدان النامية في الاساس اوضاعا صعبة وظروفا معقدة نتيجة التركة الثقيلة التي خلفها الاستعمار فيها قبل رحيله عنها وعلى مدى عقود طويلة وقد زاد الامر سوءا استمرار البلدان الراسمالية في محاولاتها نهب تلك الدول واستغلالها واخضاعها لسيطرتها وقد جاءت الثورة العلمية ـ التكنولوجية بمنجزاتها الكبرى لتضيف اوضاعا معقدة اخرى جديدة على واقع البلدان النامية وتجعلها رهينة التخلف والمرض والجهل اكثر من ذي قبل ، خصوصا بعد ان اتسعت الفجوة وعلى نحو دراماتيكي بينها وبين البلدان المتقدمة الامر الذي رتب مسؤوليات جديدة تقع على كاهل قادة بلدان حركة التحرر الوطني من اجل الخروج من هذه الاشكاليات وتسريع خطى التطور والازدهار في هذه البلدان .

هذه هي احدى المهمات الكبرى والثورية التي يتصدى لها عدد من الاحزاب الثورية التقدمية في القارات الثلاث آسيا ـ افريقيا ـ اميركا اللاتينية كحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري من آسيا مثلا والجبهة الساندينية في نيكاراغوا في اميركا اللاتينية وحزب العمل الكونغولي في الكونغو برازافيل من افريقيا . الخ .. الخ ..

ان واقع هذه الدول وما تفتقر اليه من امكانات وخبرات وكوادر وما تعانيه من مشكلات عديدة ومزمنة جعل الاحزاب الثورية التقدمية التي تتواجد فيها امام اشكاليات معقدة للغاية يتطلب حلها العمل على اكثر من صعيد وفي مجالات متنوعة وفقا لبرامج وخطط مدروسة بعناية ترتب فيها الاولويات بحسب اهميتها للنهوض بالمجتمع وتطويره ودفعه نحو آفاقه التاريخية ـ والاجتماعية **وهذا الامر لن يكون ممكن التحقق الا اذا كانت هذه الاحزاب قد**

استوعبت الواقع المحيط بها استيعابا تاما وحللته تحليلا علميا منهجيا رصدت فيه مواطن العلل ونجحت بتحديد سبل الدواء وامكانات التقدم وحينئذ وبوصف هذه الاحزاب الشرط الذاتي المهيء لاحداث التغيير النوعي المطلوب ـ اذا كانت كذلك فعلا ـ فان التفاعل الخلاق بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي يتم وضمن عملية جدل خلاقة تؤدي الى انتاج التراكيب التي تتموضع في البنى التحتية والفوقية للمجتمع المعني وتدفع مسار التطور فيه نحو الاعلى بوتائر مقبولة في البداية ما تلبث أن تتسارع في اتجاهها الصاعد .

ومن خلال هذا المنظور ادركت بعض هذه الاحزاب اهمية الثورة العلمية التكنولوجية وما يمكن أن تقدمه من حلول ناصعة لمعظم المشكلات التي تتناول هذا الجانب او ذاك من المجتمع حيث تختصر فيه الكثير من المراحل والجهود والوقت وتجعل امكان اللحاق بالركب الحضاري حقيقة واقعة ولعل اهمية هذه الثورة العلمية بالنسبة لهذه الاحزاب يمكن تحديدها في جانبين **رئيسيين اثنين هما :**

١ ـ تامين المنجزات العلمية الضرورية لعمليات الانتاج والحاجات الاساسية التي تساعد في ايجاد حلول سريعة للمشكلات التي يعانيها المجتمع في كلا بنيتيه التحتية والفوقية وفي جميع الاتجاهات وتوفير الكوادر المؤهلة للقيام بهذه المهمة وضرورة ان تكون من ذوي الخبرات والكفاءات العالية في مجال تخصصها وقادرة على الابتكار وخلق البدائل عندما تستدعي الحاجة لذلك .

٢ ـ الحرص على الاستخدام الامثل لهذه المنجزات وتوظيفها في مواضعها المناسبة والعناية بها ومراقبتها واجراء الصيانة الدورية لها من اجل ان تخدم اطول فترة ممكنة في مجال عملها وتضمن ربعية عالية تساوي ثمن تكلفتها والارباح الانتاجية المتوقعة منها .

ان اهمية الثورة العلمية ـ التكنولوجية ومايمكن ان ترتبه من اعباء جديدة على واقع بلدان تلك **الاحزاب** ومايمكن ان تقدمه من حلول في الوقت نفسه جعل بعض هذا البلدان ومن اجل على الحصول

على منجزاتها تلك القيام بالتوجه نحو البلدان الراسمالية الامبرياليه بدلا من البلدان الاشتراكية الصديقة مما جعلها ضحية التبعية والاستغلال والديون الكبيرة وبالتالي اسيرة وضع استعماري جديد في شكله ، قديم في منطقه ، حديث في اسلوبه الشرير .

وهذا المطب الخطير لعب دورا مؤثرا في فرض معطيات سلبية لا تخدم توجهات تلك الاحزاب التقدمية بل اثرت في دورها القيادي وحدت من مشروعيتها التاريخية وجعلتهامعرضة للانحسار عن مواقفها الطبقية الثورية والاقتراب اكثر من المراكز الراسمالية الامبريالية العالمية تبعية .

هذا ماحدث لاحزاب ثورية تقدمية عدة في قارات آسيا وامريكا اللاتينية وافريقيا ولقد تنبه حزب البعث العربي الاشتراكي لهذا الخطر الامبريالي وحذر منه انطلاقا من موقعه الطبقي النضالي الاشتراكي **وعبر تجربته القيادية للدولة والمجتمع في القطر العربي السوري عمل على تفادي هذا الخطر الجديد باعتماده التعاون مع البلدان الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفيتي الصديق للافادة من منجزات الثورة العلمية ـ التكنولوجية لتطوير مختلف جوانب المجتمع العربي السوري بدءا من الاقتصاد وصولا الى الفضاء الخارجي والاستغناء ما امكن عن التعامل مع اقطار الكتلة الراسمالية الامبريالية في هذا المجال العلمي وغيره .**

وعلى الرغم من ذلك مازال الخطوات التي قطعها حزب البعث العربي الاشتراكي في هذا المجال خطوات يسيرة متواضعة الا ان اهميتها تكمن في انها تمضي على الطريق السليم وهي تتطلب المزيد من خطوات كبرى لتسخير نتائج هذه الثورة في صالح التقدم الاجتماعي والاشتراكية في سورية والوطن العربي .

واخيرا فان تشكيل جبهة متراصة من البلدان الاشتراكية والبلدان

النامية وخاصة منها دول حركة التحرر الوطني التي تقودها احزاب ثورية تقدمية والتعاون التام فيما بينها في مجال الفكر والعلوم واستخدام نتائج الثورة العلمية التكنولوجية بوجه الهجوم العلمي الراسمالي سيجعل من الممكن محاصرة نتائجه الخطرة والعمل على احباط الغايات الاجتماعية والتاريخية لمسار الثورة العلمية التكنولوجية في الاقطار الراسمالية ضد شعوبها اولا وضد البلدان الاشتراكية والنامية ثانيا وسيقلل الى حد كبير من خطر فناء البشرية وسيكون الصراع الايديولوجي والعلمي والحالة هذه يسير ضمن منطقه الخلاق ووفقا للحتمية التاريخية وقانونيتها الموضوعية التي اشارت اليها النظرية الاشتراكية العلمية وهي زوال النظام الراسمالي في المدى القريب .

حلقة ـ ٣ ـ

دراسات تنظيمية

البناء الحزبي

ماهيته . جوهره . خصائصه

الرفيق : د. ناصر عبيد الناصر

تولي الاحزاب الثورية مسالة البناء الحزبي اهمية خاصة ، لما لها من دور كبير في تصوير الوحدة الفكرية والوحدة التنظيمية للحزب . وحزب البعث العربي الاشتراكي كفصيل ثوري متقدم لم يهمل في سياق تطوره التاريخي قضية البناء الحزبي ، بل اكد وعلى الدوام في ادبياته ضرورة رص البنية التنظيمية والفكرية للحزب ، وعبر دراسة متانية وتحليل موضوعي للواقع العربي والظرف الدولي امكن التوصل الى تشخيص التناقضات الاساسية والثانوية التي تواجه الامة العربية ، وفي اطار ذلك صاغ اشكال التنظيم الحزبي ، وحدد اساليب العمل وسط الجماهير العربية ، وبين الكيفية التي تدار فيها مؤسسات الحزب من القاعدة الى القمة .

ان البناء الحزبي كاي علم اجتماعي ـ سياسي يفترض العطاء والابداع والعمل الخلاق ، بعيدا عن القوالب الجامدة الهجينة . ولقد انطلق حزبنا من الخصائص المحلية الملموسة التي تحكم الواقع العربي في ارساء نظرية نضالية تعبر عن طموحات وتطلعات الجماهير العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية . وقد اعتمد الحزب الاسلوب التاريخي في معرفة منشأ الظواهر الاقتصادية والسياسية وآلية تطورها ، مما ساهم في الاستفادة من تجربة السلف بايجابياتها وسلبياتها ، مستخلصا العبر والدروس التي اغنت البناء الحزبي من الناحيتين النظرية والعملية .

والبناء الحزبي كمجموعة من المعارف والمعلومات العلمية على صلة شديدة بنشأة وتطور حزب البعث العربي الاشتراكي ، فالدستور والنظام الداخلي والمنطلقات النظرية ومقررات مؤتمرات الحزب ، اضافة الى خطب وتوجيهات الامين العام للحزب الرفيق المناضل حافظ الاسد ، تشكل جميعها الذخيرة التنظيمية والفكرية التي يرتكز عليها بنيان الحزب .

ان مضامين البناء الحزبي تتطور باستمرار ، فعبر النضال السري والعلني للحزب وعبر تجربة الحزب في قيادة الدولة والمجتمع اتسع بناء الحزب ليشمل ما يلي :

ـ دور ومهام الحزب في قيادة الدولة والمجتمع .

ـ اسلوب قيادة المؤسسات الحزبية والمنظمات الجماهيرية والنقابات المهنية .

ـ تحديد صيغة العلاقة بين السلطة والحزب .

ـ اسلوب العمل الايديولوجي وسط الجماهير .

ـ دور الرقابة الحزبية والشعبية في تتبع وتنفيذ خطط الاقتصاد الوطني .

لقد اغنت تجربة الحزب في قيادة الثورة والدولة البناء الحزبي بمضامين جديدة على الصعيدين النظري والعملي ، فبرزت صيغ وافكار متقدمة تتناسب ومراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي التي اجتازها الوطن العربي ، وقد اضافت الحركة التصحيحية التي قادها الرفيق المناضل حافظ الاسد ، مصدرا جديدا اغنى مفهوم البناء الحزبي ، يتمثل بخطب ومقولات الرفيق الامين العام للحزب ، والتي تشكل بحق دليل عمل لمؤسساتنا الحزبية منها والشعبية . والمصادر التي يستمد منها البناءالحزبي مواد كثيرة ومتنوعة يمكن حصرها بالتالي :

١ ـ استلهام التراث القومي العربي بجوانبه التقدمية ، ودور الامة العربية في بناء حضارتها ، ومساهمتها في بناء الحضارة الانسانية .

٢ ـ ادبيات حزب البعث العربي الاشتراكي منذ النشوء والتاسيس وحتى ايامنا هذه .

٣ ـ تجربة الحزب في قيادة الدولة والمجتمع في القطر العربي السوري .

٤ ـ الاستفادة الهادفة والواعية من تجارب الاحزاب التقدمية الشقيقة والصديقة .

وبالاعتماد على هذه المصادر وغيرها تم تطوير آلية العمل الحزبي بموضوعات متنوعة ساهمت مجتمعة في تطوير بنائه الفكري والتنظيمي من حيث :

اولا : تعاظم مكانة ودور الحزب في قيادة الدولة والمجتمع .

ثانيا : ظهور قائد تاريخي افتقر اليه حزبنا وشعبنا منذ زمن طويل .. قائد المسيرة .. الرفيق المناضل حافظ الاسد .

ثالثا : تعزيز البنية التنظيمية والبنية الفكرية للحزب .

رابعا : مراعاة متطلبات مبدا المركزية الديمقراطية .

خامسا : تعزيز التلاحم بين الحزب وجماهيره .

سادسا : توسيع وتطوير العلاقات الحزبية مع التنظيمات السياسية التقدمية على الصعد المحلية والعربية والدولية ، ودعم ومساندة حركات التحرر الوطني المعادية للامبريالية والصهيونية .

لقد اتسمت قنونة تطور البناء الحزبي بالعلميه والثورية ، التي تشكل معينا لا ينضب لعمل ونشاط مؤسساتنا الحزبية والجماهيرية . واذا ما اردنا ان نحدد مرتكزات البناء الحزبي لامكن حصرها بمايلي :

اولها ـ شكل التنظيم الحزبي ـ ويتمثل بـ ـ الخلية (الحلقة سابقا) ـ الفرقة ـ الشعبة ـ الفرع ـ التنظيم القطري ـ التنظيم القومي .

ثانيها ـ اسلوب التنظيم الحزبي ـ ويتوقف على طبيعة الظروف السياسية والاقتصادية التي يمر بها البلد ، فاما ان يكون التنظيم الحزبي سريا للغاية يعتمد اساليب للنضال تتجلى بـ التنظيم قليل العدد للخلايا ..

الاحتجاج الجماهيري ـ الاضراب ـ العصيان المسلح ـ توزيع البيانات ، واما ان ياخذ شكل التنظيم العلني ، وفي اطاره يكتسب النضال السياسي مرونة اكبر ويعتمد اساليب عديدة للنضال وسط الجماهير ومنها : عقد الاجتماعات ، الندوات ، اللقاءات ، المؤتمرات ... الخ .

وثالثها ـ ادوات العمل الحزبي ـ هي الاخرى ترتبط بالظروف التاريخية التي يعيشها المجتمع والتنظيم الحزبي ، كما تتوقف على الخصائص المحلية الملموسة التي يناضل الحزب من خلالها ومن ابرز ادوات العمل الحزبي :

ـ النضال الجماعي المشترك بعيدا عن الخلاص الفردي .

ـ الممارسة الموضوعية للنقد والنقد الذاتي بعيدا عن التجريح والتشهير .

ـ استخدام اساليب الاقناع والاثبات ، والمناقشات الحرة البناءة .

ومن حيث المبدا فان ادوات العمل الحزبي تتطور باستمرار وفقا لمراحل التطور التاريخي التي يقطعها المجتمع ويعيشها التنظيم الحزبي ، لكن تنوع وتطور اساليب العمل الحزبي لاينتقص من جوهر المبادىء والاراء والافكار التي يعتنقها الحزب .. فالتبدل الذي يطرا على ادوات العمل الحزبي يمكن ان يجد انعكاسا في النظام الداخلي الذي تجري عليه مؤتمرات الحزب تعديلا وتطويرا يوائم متطلبات التطور الاقتصادي والاجتماعي وبمايخدم العمل السياسي للحزب .

هذا وتشكل الوحدة التنظيمية للحزب احد الاركان الاساسية لبنائه ، فالبنية التنظيمية كمجموعة من المبادىء الاساسية التي تحكم حياة الحزب ذات صلة بجوهره الطبقي ، وتعكس بجلاء قوانين تطوره ...

لقد ادرك الحزب ان صلابة التنظيم وصرامة الانضباط الحزبي يجعلان من الحزب قوة منظمة ذات تاثير وفعالية على الصعد المحلية والعربية والدولية . وحزبنا كفصيل طليعي مسلح بنظرية تتسم بالعلمية والثورية ، حين تبنى اهدافه في الوحدة والحرية والاشتراكية ، فانه يعمل وعلى الدوام من اجل استقطاب الجماهير الكادحة الى صفوفه وينظم حركة الجماهير باتجاه تحقيق اهدافه ، وبفضل التجربة التاريخية المتراكمة احتل حزبنا مكانة مهمة بين الجماهير العربية ، فهو يؤثر ويتاثر بحركتها ويوجه نضالها ضد الرجعية المحلية والامبريالية والصهيونية .

فالبنية التنظيمية لحزبنا ترتكز على الاسس التالية :

آ ـ البناء القومي الشامل .

ب ـ الانتماء للطبقات الشعبية والفئات الجماهيرية الكادحة.

جـ ـ الديمقراطية المركزية (١) (النظام الداخلي ص ٥) .

ويرى الحزب ان الممارسة النضالية السليمة ، هي الكفيلة بتطوير الابعاد الثورية للنظرية واغنائها ، الامر الذي تعتبر معه المبادىء التنظيمية جزءا لا يتجزا من النظرية الثورية ، ومن حياة الحزب ووجوده نفسه » (٢) (النظام الداخلي ص٤) وفي مكان آخر من النظام الدخلي للحزب .

« ان الوعي العلمي والثوري لمبادىء الحزب الاساسية ، واهدافه القومية ، ولطبيعة التلازم بين النضال القومي والنضال الاشتراكي والايمان بهذه المبادىء والاهداف ، والالتزام الطوعي بالنضال المستمر ، في سبيل تحقيقها ، يعتبر شرطا لازما ، لاستحقاق شرف الانتماء الى حزب البعث العربي الاشتراكي » .

لقد شدد الحزب في نظام الداخلي على ضرورة الالتزام بمبادئه الاساسية ، كما ركز على الانتماء الطبقي للاعضاء الذين يرغبون بالانتماء اليه ، وفي ذلك تدعيم لبنائه التنظيمي .

والركن الاساسي الاخر للبناء الحزبي هي « **الوحدة الفكرية** » التي تفترض وحدة الراي والموقف وانسجام التفكير بين اعضاء الحزب ، وفي الوقت ذاته الوحدة الفكرية تتعارض مع التعددية في الاراء والتشلل والتكتل والمناورة ، وتستبعد الوصوليين والانتهازيين والنفعيين من صفوف الحزب ، وتستدعي ايضا التفاعل والتلاحم بين قواعد الحزب وقياداته المتسلسلة وتشترط خضوع الاقلية للاكثرية عملا بمبدأ « الديمقراطية المركزية » تعتبر **المركزية الديمقراطية** احد اركان البناء الحزبي الاساسية ، وتعكس

هذه المقولة الوحدة العضوية بين الديمقراطية والمركزية ، اي انها تعبر عن وجود علاقة وتاثير متبادل بينهما . فالمركزية تعني ان للحزب دستورا واحدا ومنهجا واحدا ونظاما داخليا واحدا او سياسة واحدة ، وقيادة مركزية واحدة ، وسلطة مركزية واحدة. واما دلالة الديمقراطية فيقصد بها حق الاعضاء في المناقشة والمشاركة في صناعة القرار الحزبي ، وتتم ترجمة المركزية الديمقراطية على ارض الواقع من خلال مايلي :

آ ـ الانتخاب من القاعدة الى القمة عبر المؤسسات الحزبية المتسلسلة .

ب ـ الانضباط الصارم في الحزب وخضوع الاقلية لراي الاكثرية .

جـ ـ التزام القواعد بالقرارات والتوصيات التي تصدر عن القيادة الحزبية الاعلى .

هذا يعني بان المركزية والديمقراطية يشكلان كلا لا يتجزا ، وكل منهما يفترض الطرف الاخر بل يشترطه من حيث :

اولا : الحزب تنظيم سياسي طوعي ، يمكن ان تتحقق في اطاره المركزية والانضباط عندما لا يفرط بالديمقراطية . فعندما يساهم اعضاء الحزب في اتخاذ القرار ، فانهم يدابون على تنفيذه دونما تردد ، لانهم شاركوا في مناقشته واقروه عن قناعة ، ولهذا يشكل محط ثقتهم واحترامهم ، والتزام الاعضاء بتنفيذ قرارات الحزب دلالة ظاهرية على الانضباط والمركزية . وقد جاء من يعرض النظام الداخلي للحزب « يعتبر الالتزام النضالي بمصلحة الجماهير الكادحة مقياسا اساسيا لمدى ثورية الانسان العربي ، ولائه الكامل للامة العربية ، وثورتها الوحدوية الاشتراكية » .

ثانيا : التزام الاعضاء بتنفيذ المهمات الحزبية : ان تنفيذ المهام الحزبية واحترامها من قبل الاعضاء يعكس من ناحية صلابة

ان المنطلق في ممارسة الديمقراطية يكمن في « الانتخاب والمحاسبة الحزبية » والتي تعني انتخاب الهيئات الحزبية المتسلسلة من القواعد ، ومحاسبة القيادات امام الذين ينتخبونها . وبدون ممارسة حق الانتخاب من جانب اعضاء الحزب لا يمكن الحديث عن الديمقراطية ، والتي تتجلى باروع صورها من خلال انتخاب القواعد للقيادات العليا التي يتم اختيارها وفقا لنصوص وقواعد النظام الداخلي للحزب .

وتجري عملية انتخاب الهيئات الحزبية العليا ، بعد الاستماع الى التقارير التنظيمية والسياسية والاقتصادية التي تتقدم بها المؤسسة الحزبية عملا بمبدأ الديمقراطية فقد ورد في النظام الداخلي للحزب « الديمقراطية تكفل حرية اعضاء الحزب وتفسح المجال امامهم لممارسة حقهم في المناقشة ، والتعبير عن ارائهم ، والاقتراح والنقد ، في انتخاب القيادات التي تعبر عن ارادة الحزب وتتحمل المسؤولية النضالية » .

فالمناقشة والنقد الحزبي يفترض تصويب الخطا ، والتوصل الى فهم مشترك لسياسة الحزب ، ويجب ان يؤدي الى رفع وتيرة العمل الحزبي .

هذا ويشكل الانضباط والالتزام الحزبي بالقرارات الصادرة عن القيادة العليا دعامة رئيسة للمركزية الديمقراطية ، فالمؤسسات الدنيا لا تمتلك الحق في رفضها او التردد في تنفيذها ، وفي ذلك تدعيم لوحدة الحزب التنظيمية والفكرية . فالانضباط الحزبي والتقيد بتنفيذ قرارات القيادة الحزبية ، سمة مميزة للديمقراطية المركزية ، وهي تعبر عن قناعة الرفيق البعثي بصحة القرارات الحزبية ، وتتاح للاعضاء فرصة المناقشة وابداء الراي قبل صدور القرار الحزبي ، ولكن بعد ان يتخذ ، فانهم ملزمون باحترامه وتنفيذه بما فيه اولئك الاعضاء الذين لهم وجهة نظر مغايرة بصدد القرار الحزبي المتخذ . فالديمقراطية المركزية تفترض ان يعمل

التنظيم الحزبي ووحدته الفكرية ، ومن ناحية اخرى بتشكل ضمانة اساسية لانجاز متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومقتضيات الدفاع ضد العدو الصهيوني والديمقراطية الداخلية تفسح المجال امام الاعضاء ليدلوا بارائهم ويغنوا فكر الحزب بتجربتهم النضالية وتمكنهم من المشاركة في حل الصعوبات والمشاكل التي تعترض مسيرة الحزب ، ومثل هذه المشاركة تعزز من ثقة الرفيق البعثي بالحزب ، وتخلق لديه الحس بالمسؤولية ، والنظر الى المهمة الحزبية المسندة اليه كمسؤولية وليست امتيازا له .

وعندما تمارس الجماهير المؤطرة المركزية الديمقراطية على نحو مبدع وخلاق انما ترسي بذلك اسس وحدة المركزية والديمقراطية ، والممارسة اليومية للديمقراطية في اطار المنظمات الشعبية والنقابات المهنية ، يخلق وحدة في العمل والتفكير الجماعي المشترك ، وتشيع الروح الرفاقية والاحترام المتبادل بين الجماهير الكادحة ، والممارسة الهادفة والواعية للديمقراطية تعزز من مكانة ودور الحزب في قيادة الدولة والمجتمع .

وفيما يخص العلاقة والتاثير المتبادل بين الديمقراطية والمركزية ، فان هذه العلاقة لا تتسم بالجمود والصورية والروتين ، بل تمتاز بالمرونة والابداع ، اذ تراعي على صعيد التطبيق العملي الظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها الدولة ، فكل مرحلة تفترض شكلا من التوازن بين الديمقراطية والمركزية ، وقد جاء في النظام الداخلي للحزب « اهم مايجب الحرص عليه في ممارسة الديمقراطية المركزية هو التوفيق والتوازن بين مفهومي الديمقراطية والمركزية . حيث لا يطغى احدهما على الاخر ، سواء بان تتحول المركزية الى تسلط ودكتاتورية .. ، او بان تتحول الديمقراطية الى نوع من الفوضى والثرثرة النظرية .. » .

جميع اعضاء الحزب كفريق عمل واحد من اجل انجاز مهام ومقررات الحزب : عملا بمبدأ « خضوع الاقلية للاكثرية ».

ان الانضباط الحزبي يشترط بدوره « وحدة الالتزام » ففي الحزب الثوري لا يوجد انضباط خاص بالقواعد ، وانضباط خاص بالقيادات ، فالمؤسسة الحزبية تفقد لحمتها وتماسكها ، اذا ماكان هناك تمايز في الحقوق والواجبات . وتعتبر وحدة الانضباط والالتزام الحزبي ضمانة اساسية لوحدة البنيان الحزبي ، واذا ماسعى بعض الرفاق للحصول على الامتيازات والمكتسبات ، فان صفوف الحزب ستلفظهم « وسيسقطون عاجلا او اجلا على طريق المسيرة الطويل .

ومن اجل تشديد الانضباط الحزبي لابد من توافر ثلاثة شروط تتجلى ب :

١ ـ وعي الطليعة الثورية واخلاصها لثورة الحزب وقائد مسيرتها الرفيق المناضل حافظ الاسد .

٢ ـ تلاحم الطليعة الثورية مع الجماهير الكادحة .

٣ ـ تماسك القيادة السياسية ، وصلابة وحدتها ، وسلامة الاستراتيجية والسياسة التي تنفذها .

ان السياسة المبدئية التي ينتهجها الحزب ، وصواب القرارات التي تتخذها القيادة السياسية ، تشكلان مركز استقطاب للرفاق البعثيين ، والجماهير المنظمة او اصدقاء الحزب واطراف الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ، مما يسهل من بلوغ اهداف الحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية .

وتجدر الاشارة بمكان ان الانضباط والمركزية في الحزب الثوري ، لا يلغي دور المؤسسات الحزبية في ان تاخذ زمام المبادرة ، وتبدع في عملها اليومي ، وتتصدى لحل المشاكل والصعوبات في

الوقت المناسب . فالمبادرة لحل القضايا اليومية من جانب المؤسسات الحزبية امر تشجعه القيادة العليا ، على ان تكون مبادراتها وحلولها منسجمة مع روح وسياسة الحزب المبدئية .

ان الديمقراطية المركزية في حزب البعث العربي الاشتراكي ـ كما ورد في النظام الداخلي ـ ترتكز على مجموعة من الاسس التنظيمية تتمثل ب :

١ ـ احترام حرية العضو في المشاركة في حياة الحزب ومصيره وذلك بالاشتراك في انتخاب هيئاته القيادية والمساهمة في مناقشة شؤونه وسياساته كافة .

٢ ـ انتخاب القيادات من القواعد حسب نصوص النظام الداخلي .

٣ ـ القيادة الحزبية مسؤولة امام مؤتمراتها وهي كاملة الصلاحيات في غياب هذه المؤتمرات .

٤ ـ احترام الاكثرية لراي الاقلية ويمنع منعا باتا ان يجعل اي راي يبديه العضو في اية جلسة نظامية لاية مؤسسة حزبية اساسا لاتهامه او سببا للتهجم عليه .

٥ ـ الالتزام بالقرار الحزبي ، حيث تلتزم القيادات الدنيا بقرارات القيادات العليا ...

٦ ـ النقد والنقد الذاتي .

مما وردفي اعلاه يتضح لنا بان الديمقراطية المركزية تمثل احدى مكونات البناء الحزبي ، والتقيد بها وبمتطلباتها يمكنان الحزب من توسيع دائرة نشاطه ، ومن تعزيز ثقة الاعضاء به والجماهير بدوره التاريخي . . وحتى لا يحدث اختلال في العلاقة التبادلية بين الديمقراطية والمركزية ، تسعى الاحزاب الثورية على الدوام لتشجيع الاعضاء على ممارسة النقد والنقد الذاتي ، كضابط اساسي

وصمام امان لوحدة الديمقراطية والمركزية ، واي انفصام في الوحدة العضوية بين الديمقراطية والمركزية يؤثران سلبا في سلامة البناء الحزبي .

ضمن هذا الاطار استولى البناء الحزبي على اهتمام الاحزاب الثورية وفي العديد من البلدان الاشتراكية يتم تدريس البناء الحزبي ـ كمادة رئيسة ـ ضمن منظومة العلوم الاجتماعية ، وعلى الاخص في مدارس الاعداد الحزبي . وحزبنا بدوره اولى هذا الجانب اهمية خاصة ، حيث يدرس البناء الحزبي في سلسلة من المحاضرات ضمن مدارس الاعداد الفرعية وفي المعهد العالي للعلوم السياسية ، حيث يطلع الرفاق الدارسون على :

- **اساليب بناء الحزب الثوري .**
- **قوننة تطور الحزب وبنيته التنظيمية .**
- **اشكال واساليب القيادة الحزبية للدولة والمجتمع .**
- **النشاط الايديولوجي وسط الجماهير .**

وبهدف ترسيخ المعارف المكتسبة في الدورات الحزبية الفرعية منها والمركزية ، يكلف الرفاق الدارسون باعداد بحوث نظرية وعملية بهذا الخصوص ، مما يكسبهم خبرة ودراية ادارية وقيادية ، وتتيح لهم فرصة التعمق بالجوانب النظرية والتطبيقية للبناء الحزبي .

لقاءات

الولايات المتحدة واللوبي الصهيوني والارهاب الدولي

« المناضل »

بدعوة من القيادة القومية زار القطر العربي السوري الدكتور تمباسونو الكاتب الامريكي التقدمي المعادي للصهيونية والتمييز العنصري وسياسة الولايات المتحدة الامريكية العدوانية تجاه الشعوب المناضلة من اجل الحرية والتقدم ... والكاتب الامريكي من المقدرين لدور سورية النضالي والانساني ليس على نطاق وطننا العربي بل على النطاق العالمي .

وقد التقى الكاتب الامريكي خلال زيارته التي استمرت اسبوعا عددا من القياديين في الحزب ومسؤولي المؤسسات الاعلامية .. وكان له لقاء مع هيئة تحرير المناضل تناول الحديث فيه الدور الاعلامي التحرري واثره في فضح المخططات الامبريالية ...

و « المناضل » اجرت معه في ختام زيارته الحديث التالي :

● **المناضل** : دكتور سونو تتعرض سورية الان لحملة تشويه اعلامية صهيونية امبريالية تتهم فيها بممارسة الارهاب ، فما هي الدوافع الحقيقية وراء هذه الحملة ؟ ومن هو مصدر الارهاب برأيك في منطقة الشرق الاوسط والعالم ؟ على اعتبار انك رجل اعلامي واسع الاطلاع ولك مؤلفات ودراسات عدة بهذا الصدد ؟.

●● **الدكتور سونو** : الشق الاول من السؤال سهل ، لان دوافع حملة التضليل الاعلامي المعادي لسورية ناتجة عن الفشل الذريع لمخططات اركاع سورية واحتواء سورية فسورية لاتتحرك حسب القواعد الصهيونية، ولذلك يجب من وجهة النظر الامريكية الصهيونية اتخاذ هذا الاجراء اللازم ضدها حسب مفهوم من يقود حملة التضليل هذه وفي الوقت الراهن هو الحسم العسكري . ولكن رغم وجود القوة العسكرية الكبيرة لديهم ، فسورية قادرة على الصمود في وجههم وردهم الى نحورهم . اذا فالخيار الوحيد الممكن لدوائر الامبريالية الصهيونية هو العمل على اضعاف الموقف السوري من خلال تشويه سمعة سوريا واتهامها بالتورط بأعمال ارهابية دولية . ولكن هذا الاتهام في رأيي هو من اكبر حملات التضليل الاعلامية التي عرفتها سنوات السبعينات والثمانينات ، اما مصدر الارهاب كما هو معروف للعالم فهو المنظمة الصهيونية العالمية التي تتخذ من « تل ابيب » وكرا لها ، وهي النظام الارهابي الذي لا يعرف الحدود وهي المنظمة التي مارست الارهاب ضد الشعوب ، ليس في الوطن العربي فحسب بل وحتى في افريقيا شمالها وجنوبها . وفي امريكا الوسطى وحتى في الولايات المتحدة نفسها . ان اللوبي الصهيوني يسيطر وبكل أسف على الادارة الامريكية وهذا الترابط بين الادارات الامريكية المتعاقبة مع اللوبي الصهيوني خاصة في عهد ادارة ريغان يولد بالفعل اكبر منظمة ارهابية في العالم . لننظر في معنى كلمة الارهاب نفسها . انها تعني الترهيب ، ولكن من يرهب من هنا في هذه المنطقة ؟ ! فالصهاينة على بعد عشرات الكيلومترات فقط من هنا مسلحون بالاسلحة النووية ، فماذا يريدون

ان يعملوا بهذه الاسلحة ؟: انهم يريدون ترهيب العرب وبشكل يصبحون فيه غير قادرين على مقاومة الصهيونية . اذا هم الذين يستخدمون الارهاب . لننظر الى ما يحدث في لبنان ، الى الالاف من اطنان القنابل « الاسرائيلية » التي سقطت على رؤوس المدنيين الابرياء ! لننظر الى ما يحدث في فلسطين المحتلة ايضا ! لقد ازال الصهاينة المئات من القرى الفلسطينية من الوجود . كنت اقرا في كتاب لباحث امريكي معاد للصهيونية اسمه توسجونسكي يقول في جزء من كتابه ان الصهاينة ازالوا اكثر من مئتي قرية من الوجود خلال السنوات الاولى من قيام الكيان الصهيوني . وانا اطلب من الراي العام أجمع أن ينظر الى مدينة القنيطرة ، المدينة التي لم تدمر خلال العمليات العسكرية كما هو معروف ، ولكن بعد معارك حرب تشرين التي خاضتها سورية بقوة وصلابة — وقبل ان يغادرها الصهاينة ، اي في عام ١٩٧٤ دمروها تماما وبعد كل ما ذكر لا بأس من طرح السؤال من هو الارهابي ... ؟ ! ان الارهاب الذي يمارسه الصهاينة هو الارهاب الذي يعني القتل الجماعي يعني الابادة الجماعية ومع الاسف الشديد ما زال الغرب المتحضر يتظاهر بأن ذلك ليس أرهابا رغم انه على قناعة تامة بأن ذلك هو الارهاب الحقيقي ، اخلص الى القول ان حملة التضليل الاعلامي هذه يتزايد صراخها عندما يموت مواطن غربي مثلا بفعل عمل ارهابي وعلى العرب في مثل هذه الحالة تحمل مسؤولية هذا المواطن اضافة الى تشويه سمعة الوطن العربي بربطه بالارهاب واقعا وتاريخا وكيانا . وبهذا فرقنا بين من هو الارهابي ومن هو غير الارهابي فالصهاينة هم الارهابيون والكيان الصهيوني هو مصدر الارهاب الحقيقي ...

● **المناضل** : من المعروف ان الصهيونية تسيطر على وسائل الاعلام الامريكية ، فكيف يمكن ان تصل الحقيقة الى الشعب الامريكي برايكم ، ما دام الاعلام العربي غير موجود في الساحة الامريكية وما دام الشعب الامريكي لا يسمع ولايرى الا ماتقدمه له الصهيونية خاصة فيما يتعلق بقضايا الصراع العربي الصهيوني ؟.

● الوضع العربي الراهن مشوه جدا في الساحة الامريكية ويتم هذا التشويه من قبل الاعلام الصهيوني في كل يوم وكل اسبوع وكل عام ياتي بجديد في هذا المجال . فالصهاينة يحتكرون بالفعل وسائل الاعلام الامريكية وهم يسيطرون عمليا على اغلب هذه الوسائل لدرجة تمكنهم من قمع أي شيء يعكس فهما موضوعيا للموقف العربي .

يبدو لي هنا أن المسألة ترتبط بسببين :

الاول هو ان الصهاينة يبذلون جهدا كبيرا متواصلا لمنع نشر اي شيء ايجابي عن الوطن العربي ويتم هذا باشراف المنظمة الصهيونية المباشر .

والثاني هو ولسوء الحظ تأخر الوطن العربي في التعامل الفعال والمؤثر في مواجهة التأثير الاعلامي الصهيوني ، فقد بدأ العمل العربي الاعلامي المواجه للتضليل الاعلامي الصهيوني بشكل ضعيف ومتخلف وعلى عكس الاعلام الصهيوني ، الذي يمتلك موارد ووسائل متطورة، بالاضافة الى الدعم الامريكي المباشر لهذا الاعلام ... ويستخدم الصهاينة اسلوب شراء السياسيين والصحفيين والباحثين والكتاب ولقد اصبح هؤلاء لدرجة كبيرة جزءا لايتجزأ من الادراك الصهيوني للعالم ... اننا لا نشك في حتمية الانتصار العربي في المعركة ، ولكن على العرب ان يبذلوا جهداً متجانسا وحثيثا كالجهد الذي يقوم به القطر العربي السوري هنا في مقاومة التوسع الصهيوني فمتى اقتنع العرب بامكانية اختراق النظام الاعلامي الامريكي والتخلي عن الموقف اللا مبالي الذي يظهر انعدام مثل هذه الامكانية ، ومتى اقتنعوا بامكانية الحاق الهزيمة بالصهيونية في هذا المجال ايضا،فانهم حينئذ فقط سيبدؤون السير على الطريق الصحيح ، ولكن يجب الاسراع بهذه الخطوة المهمة وهي مهاجمة الصهيونية في عقر دارها اي في الولايات المتحدة الامريكية ...

وهنا اقول أن على الدول النفطية الخليجية أن تعرف بأنها مهما ارسلت من مواردها المالية الى النظام الراسمالي في امريكا والغرب فان الصهاينة سيظلون يعادونها مهما تقربت منهم لانها عربية . فالشيء المهم هنا تعاون اقطار الوطن العربي لاختراق الوعي الامريكي وبشكل منهجي خصوصا وأن الوعي الامريكي لم يندمج كليا في الفلسفة الصهيونية بعد « مع أن ما نراه حاليا في غالبيته هو ادب صهيوني وسياسة صهيونية وتصور صهيوني عن الوطن العربي والعالم ، وهكذا فان الصورة الوحيدة المتوافرة عن الشرق الاوسط هي ما ترسمه الصهيونية ، وهنا ينتصب التحدي أمام العرب للتغلب على مثل هذه النشاطات الصهيونية في الولايات المتحدة والعالم .

● **المناضل :** د. سوتو كيف يؤثر اللوبي الصهيوني على رسم السياسة الامريكية المعادية للعرب ؟ وكيف يستطيع اللوبي هذا انتزاع موارد كبيرة لصالح « اسرائيل » ، في حين أن هذه الموارد يحتاجها فقراء الولايات المتحدة الامريكية ؟ وما هو موقف دافعي الضرائب الامريكيين حيال ذلك ؟! ..

هذا سؤال مهم جدا لانه يدخل في صلب المشكلة التي تواجهها الشعوب المضطهدة في العالم الثالث والتي يواجهها المضطهدون في الولايات المتحدة نفسها . فمن أجل أن ينتصر الشر فانه يحتاج الى بعض الاشرار فقط لكي يقوموا بالعمل ، في الوقت الذي تبقى فيه الاغلبية الساحقة لا مبالية وساكنه . وهذا ما يحدث في امريكا ،فمنذ فترةطويلة بدأ الصهاينة بابتزاز الشعب الامريكي .. فهم يستولون الان على اموال دافعي الضرائب مثلا وحسب الارقام الرسمية فان مليارات الدولارات المفروضة على دافعي الضرائب ترسل الى « اسرائيل » ، في حين يوجد ملايين الفقراء في امريكا ، كما يوجد اناس كثر لا يملكون ماوى للسكن وهناك (٤٥) مليون أمي في الولايات المتحدة الامريكية كما أن هناك الملايين من الطلبة الذين لا

يستطيعون مواصلة دراستهم بسبب فقرهم وملايين اخرى عاطلة عن العمل · ومع ذلك فكل سنة وبدون استشارة احد ، تذهب مليارات الدولارات الى « اسرائيل » ، بالاضافة الى الاسلحة غالية الثمن · اما لماذا لم يرد أو يعترض الشعب الامريكي على ذلك ؟ ! مرة أخرى اؤكد أن اللوبي الصهيوني نجح في شراء عدد كبير من أعضاء الكونغرس الذين يتم انتخابهم بمساعدة الاموال والاصوات الصهيونية لذلك فالتحدي لا يفيد في الكونغرس نفسه ، وانما يجب أن يبدا العمل قبل انتخابات الكونغرس فالخيار الموجود في هذه الحالة يكمن في تنشيط العمل اثناء الانتخابات نفسها · وذلك من خلال افشال المرشحين الصهاينة ومنع وصولهم للكونغرس · وطبعا يجب أن تعبأ الجماهير لانها مستعدة للعمل بخصوص ذلك ، ولكن هنا يجب أن أشير الى اولئك الذين يخافون أن يفقدوا وظائفهم نتيجة عدائهم الصريح للصهيونية · وهذا ابتزاز صهيوني آخر يستهدف ارهاب واسكات الجماهير المعادية لها ولكن حتى هؤلاء المترددين اذا لاحظوا وجود منظمات واشخاص يتحدون الصهيونية وابتزازها ، فانهم سينضموا اليها واذا بدانا العمل بهذا الاتجاه فهناك حتما امل بالحاق الهزيمة بالصهيونية ·

● المناضل : اضافة للاموال والمساعدات سالفة الذكر ترسل الولايات المتحدة وبصورة مستمرة الى « اسرائيل » افضل انواع الاسلحة المتطورة من اجل تحقيق التفوق العسكري الاسرائيلي وعلى الرغم من معرفتنا بقدرة الامبريالية الامريكية ،فقد طرحنا هنا في سورية شعار التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني · فكيف تنظر الى هذه الاستراتيجية السورية ، كمواطن امريكي تقدمي ؟.

●● الاستراتيجية السورية للتوازن الاستراتيجي مع الكيان الصهيوني هي استراتيجية عظيمة ولها جوانب متعددة منها الملائم ومنها غير الملائم حسب وجهة نظري فهذه الاستراتيجية فرضتها السياسة الامبريالية الامريكية بهدف استنزاف الاقتصاد السوري

واستنزاف الادارة الوطنية السورية ولان سورية ترفض الركوع لمخططات الامبريالية الصهيونية ومطلوب منها موضوعيا أن تزيد من قوتها الاقتصادية والعسكرية لكي تصل الى التوازن العسكري مع العدو الصهيوني ،لانه في حال عدم الوصول لحالة التوازن،هذه يصبح الوطن العربي معرضا للابادة ، وعندما اقول بوجود جوانب غير ملائمة فانا أعني اضطرار سورية الى تكريس أغلب مواردها للدفاع عن نفسها وعن الوطن ضد الحرب المفروضة عليها من الخارج ، ولكن من الجهة الاخرى ماهو الخيار ؟ طبعا الجوانب المؤاتية هي ان هذه الاستراتيجية نجحت ليس فقط في ترسيخ الوحدة الوطنية في سورية، ولكن ايضا في توضيح حقيقة أن السوريين والفلسطينيين واللبنانيين شعب واحد ، فهم كلهم عرب وهم يقاتلون ضد المستوطنين الصهاينة، لذلك فان هذا النجاح يخلق امة عربية اكثر انسجاما وقوة ، ليس الامة من الجانب النظري ، ولكن امة فعلية الوجود ، هذا هو اهم جانب اراه في هذه الاستراتيجية . . .

● المناضل : قبل أن يكثر الحديث عن الارهاب كانت الولايات المتحدة خاصة في عهد كارتر تدعي انها مؤيدة ومدافعة عن حقوق الانسان في حين كنا نجدها دوما تعتدي على شعوب العالم بهدف الهيمنة والسيطرة ،كما نجد ملايين المواطنين داخل الولايات المتحدة تحرم من حقوقها فما هو تعليقك على ذلك ؟.

●● ان مسالة حقوق الانسان ضمن سياق الوضع الامريكي يجب فهمها من خلال متابعة تطورها على أمتداد فترة ارتقائية طويلة جداً ، خذ المواطن الاسود مثلا في فترة سابقة،كان الدستور الامريكي لا يعترف بالانسان الاسود اللون من البشر ، وانما يعتبره معادلا لثلاثة أخماس الانسان ، ولذلك فان كل تلك الفترة الطويلة من الاستعباد كانت فترة نفي لحقوق الانسان في الولايات المتحدة الامريكية نفسها . فلم يكن للمواطنين السود ما يسمى بحقوق الانسان ولقد استمرت تلك الفترة حتى بدات عملية تحرير العبيد وحصل السود على

حق الاقتراع باصواتهم الانتخابية ، ثم حصلت النساء على حقهن في الاقتراع عام ١٩٢٠ ولكن فقط في منتصف الستينات اي في عامي ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ عندما تم تشريع قانون حقوق المنتخبين وقانون الحقوق المدنية بدا الامريكان السود بالتمتع ببعض تلك الحقوق الثابتة التي تكلم عنها الدستور الامريكي منذ عام ١٧٧٦ ،ولكن حسب الواقع الفعلي فان حقوق الانسان للامريكيين السود ما زالت غير منفصلة عن مسالة العنصرية ، لان في الولايات المتحدة الامريكية عنصرية واسعة الانتشار، فالملايين من السود عاطلون عن العمل والعديد منهم من دون ماوى والكثير منهم في السجون على الرغم من كونهم يشكلون اقلية،وحتى اولئك السود الذين استطاعوا اختراق المجالات التقليدية للسيطرة العنصرية البيضاء على مقاليد الحكم يجدون الامر صعبا جدا،مع انه يوجد عمد سود مثل عمدة مدينة شيكاغو وعمدة مدينة لوس انجلوس ، وواشنطن دي سي ، واتلانتا ، ولكن على الرغم من ذلك مازال السود في امريكا يعانون من فقدان حقوق الانسان ، لانهم لايستطيعون المنافسة بشكل فعال خصوصا بعد مجيء ادارة ريغان ، الامر الذي ادى الى ارجاع عقارب الساعة الى الوراء ولعقود طويلة حيث تراجعت الاوضاع الى ما كانت عليه قبل عشرات السنين ، لان سياسة ادارة ريغان ترتكز على ايديولوجية مغرقة في اليمينية لتنظر الى الامور بشكل اوضح واوسع : ادارة ريغان لاترغب ان تتعامل مع شعوب دول العالم الثالث ، دون فرض سيطرتها عليها ، وهي لاترغب حتى في التعامل مع بلدان مثل سورية ونيكارغوا ،ولاتقبل حتى لشعب صغير مثل شعب غرينادا ان يقرر مصيره بيده ، وهنا اقول اذا كان هذا النظام غير قادر على التعامل مع شعوب العالم الثالث فكيف يقدر على التعامل مع السود والهنود الامريكيين والمتحدرين من اصل امريكي ؟! الذين تنظر اليهم الادارة الامريكية النظرة نفسها لشعوب العالم الثالث على الرغم انهم موجودون في الولايات المتحدة الامريكية وضمن هذا السياق اقول نعم هناك شكلان لحقوق الانسان . حقوق الانسان بما يخص الصهاينة الذين يستطيعون عمل ما يريدون عمله

للحصول على حقوقهم كافة . وهناك امتهان لحقوق الانسان عندما يتعلق الامر بالسود والملونين الامريكيين وشعوب العالم الثالث وهذا الامر يشكل انعكاسا للسياسة الامريكية كما قلت . .

● **المناضل** : يناضل حزب البعث العربي الاشتراكي منذ تأسيسه من اجل تحقيق وحدة العرب وحريتهم ولاشك انك كباحث وكزائر مهم اطلعت على مبادىء واهداف الحزب فما هو تقويمك لهذه الاهداف والمبادىء ؟.

●● تشكل مبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي حجر الاساس للمقاومة العربية وللتقدم العربي وللانبعاث العربي . دعنا نواجه الامور بصراحة من النواحي السياسية والايديولوجية والاقتصادية والثقافية والدولية . فالجماهير العربية كما لمسنا لم تعبأ بشكل واسع وتنظم في عملية الصراع مع الصهيونية إلا منذ تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي ، فعندما تأسس حزب البعث العربي الاشتراكي جاء بمبادىء أساسية واسعة الشمول ، خارجة عن النطاق الاقليمي وهي بالاضافة الى كونها قومية فهي عالمية تعبر عن السعي نحو الانسانية . وبعبارة اخرى فان الانسانية لها كل شيء مشترك مع هذه المبادىء كما ان هذه المبادىء تعبر عن فلسفة متينة وقوية وهي ليست فلسفة اجنبية كحال العديد من دول العالم الثالث التي تتجه نحو تبني ايديولوجيات اجنبية . وانا ارى في البعث التعبير الحقيقي عن الروح العربية التي هي نتاج لها . فحزب البعث في سياساته يعبر عن الفلسفة البعثية وهذه الفلسفة تلتقي مع نضال الشعوب المضطهدة التي تناضل من اجل العدالة والحرية والحقوق الوطنية الديمقراطية . يمكن القول اخيرا أن مبادىء حزب البعث هي مبادىء العدالة الانسانية والتحرر الوطني والمقاومة الوطنية . . .

● **المناضل** : بعد هذه الزيارة التي شارفت وبكل أسف على الانتهاء وبعد اللقاءات المتعددة مع الرفاق المسؤولين في الحزب

والدولة ، وبعد اطلاعكم على معالم سورية الحضارية والانجازات التي تحققت في ظل قيادة الرئيس المناضل حافظ الاسد ، اسألكم عن انطباعكم وكيف ترون سورية منذ عام ١٩٧٠ وحتى الان ؟

●● لقد شاهدت العديد من المنجزاتفي دمشق وخارجها ، وشاهدت الانجازات الاقتصادية والحضارية والتربوية والاجتماعية، الامر الذي يؤكد ان هذا التطور لم يكن ليوجد دون وعي سياسي وقيادة حكيمة وفذة هي قيادة الرئيس المناضل حافظ الاسد وهنا لا بد من الاشارة الى انه ترتسم لهذا القائد العظيم صورتان حقيقية وغير حقيقية وتاتي الصورة الاخيرة بالطبع من الجانبين الامريكي والامبريالي والصهيوني ولكن عندما ياتي المرء الى سورية يرى الصورة الحقيقية لهذا القائد · بالنسبة لي فقد كنت أعرف دائما بان هناك حقيقة أعمق مما تنشره وسائل الاعلام الغربية والصهيونية، بحثت عنها وتتبعتها في خطابات السيد الرئيس ومقابلاته التلفازية والصحفية لفترة طويلة في الولايات المتحدة على رغم الحظر .. ذلك الامر الذي دفعني ايضا للقدوم الى سورية ...

وانا اقول يجب على المرء ان يتطلع الى عملية التنمية في سورية ليرى بام عينه ما حققت هذه البلاد من انجازات خلال السنوات الست عشرة الماضية · وبالطبع فان قائد هذه الامة يقوم بعمل جبار في تحقيق عملية التنمية وعلى الصعد كافة ...

واخيرا يمكن للمرء أن يرى صورة السيد الرئيس الحقيقية من خلال بعده الدولي · لقد وجدت بأن الرئيس الاسد وقف بثبات في وجه العديد من محاولات تيئيس سورية وابعادها عن النضال ضد الصهيونية وبسبب صمود السيد الرئيس بوجهالصهيونية والمخططات الامبريالية فان قيادته أصبحت وبحق ظاهرة استثنائية · وهنا انا اطلب من قيادة البعث أن تعمل على نشر افكار ومواقف السيد الرئيس على النطاق الدولي وباقصى قدر ممكن ، وذلك لانه من دون معرفة

العالم لعظمة الرئيس ومواقفه فان الدعاية المضادة التي تحاول تشويه صورته ستجد طريقها الى عقول الناس ·· ولذلك أرى أن نتجه الجهود نحو العالم الغربي بشكل خاص لكي يعرف الراي العام الغربي وبصورة اوسع الصورة الحقيقية للرئيس الاسد واذا ما عرفت الصورة الحقيقية لرئيسكم وحزبكم وبلدكم فان العالم سيعترف بان الرئيس الاسد قائد حكيم وحقيقي وعظيم ·

★ اعد اللقاء الرفيق ابراهيم شقير

انشطة ووثائق

منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي

القيادة القومية

● استقبل الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي الرفيق كارين بروتنتس نائب رئيس لجنة العلاقات الدولية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ، الذي نقل للرفيق الامين العام رسالة خطية من السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي الرفيق ميخائيل غورباتشيف تتضمن دعوة لزيارة الاتحاد السوفييتي .

ودار الحديث خلال المقابلة حول مجمل الاوضاع والتطورات في المنطقة في ضوء الاوضاع المستجدة ، كما تناول المواضيع المتعلقة بالتعاون والامور الثنائية بين البلدين .

وقد عبر الرفيق بروتنتس عن تقدير الاتحاد السوفييتي لدور سورية في المنطقة ومواقفها الشجاعة في مواجهة المخططات المعادية والتهديدات الآتية من العدو الصهيوني والقوى الامبريالية واكد دعم الاتحاد السوفييتي لسورية .

واعرب الرفيق الامين العام للحزب عن تقدير سورية لموقف الاتحاد السوفييتي بدعم النضال العربي التحرري وابدى ارتياحه لعمق علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين وتطورها ، وقال ان سورية لن تعرف التخاذل او المساومة على الحقوق وان شعب سورية العربية مستعد دوما لتقديم اية تضحية ضرورية للدفاع عن نفسه وامته العربية وقضيته القومية وان التهديدات واستعراضات القوة لن ترهبه ولن تحيده عن خطه الوطني القومي .

وكان الرفيق عبدالله الاحمر الامين العام المساعد قد استقبل الرفيق بروتنتس ودار الحديث اثناء اللقاء حول العلاقات المتطورة بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفييتي وحول اجراءات تنفيذ برنامج التعاون للعامين القادمين بين الحزبين الصديقين . كما تم تبادل الراي والتشاور حول عدد من القضايا العالمية والتطورات في منطقة الشرق الاوسط وقضايا ذوات اهتمام مشترك للحزبين والبلدين ،كانت وجهات النظر متطابقة حول المسائل التي تم بحثها .

وفود حزبية :

بدعوة من القيادة القومية وصلت دمشق وفود حزبية ، من كورية الديمقراطية والمانيا الديمقراطية وفيتنام الديمقراطية والحزب

التقدمي للشعب الكادح القبرصي (اكيل) والحزب الشيوعي الصيني وقد عقدت في مبنى القيادة القومية جلسات المباحثات بين وفود هذه الاحزاب وحزبنا ودارت الاحاديث حول علاقات الصداقة والتعاون القائمة لما فيه مصلحة شعبنا وشعوبهم الصديقة والنضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية وخططها العدوانية ، والوضع في منطقتي الشرق الاوسط وجنوب شرقي آسيا والقضايا الدولية كما تناول الحديث سبل تطور العلاقات بين حزبنا واحزابهم الصديقة بما يخدم اهداف النضال المشترك .

● شارك الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي في اعمال مؤتمر الحزب الشيوعي اللبناني الخامس الذي عقد تحت شعار المقاومة اللبنانية ستنتصر ، وقد ارتجل الرفيق الامين العام المساعد كلمة في جلسة افتتاح المؤتمر نقل في مستهلها تحيات الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب وقيادة الحزب الى الرفاق المشاركين في المؤتمر واشاد بالعلاقات المتطورة بين حزبنا والحزب الشيوعي اللبناني واستعرض في كلمته ماهية الصراع الاساسي القائم بين الامة العربية وبين العدو الصهيوني ، وان ما يحدث في لبنان هو جزء من هذه الصراعات ، فبعد ان فشلت محاولات الهيمنة والسيطرة على لبنان من الداخل كان الغزو الصهيوني عام ١٩٨٢ وقد فشل بتحقيق اهدافه السياسية والعسكرية تحت ضربات المقاومة التي اجبرته على الانسحاب من القسم الاكبر من الاراضي اللبنانية والنضال ما زال مستمرا لتحرير آخر شبر من الاراضي اللبنانية العربية المحتلة . واضاف بأن سورية ماضية في مساندتها للمقاومة الوطنية اللبنانية وستقدم كل ما تستطيع من امكانات للتغلب على الصعاب التي يواجهها هذا الشعب البطل ولكي يصل الى وفاق

حقيقي عبر طريق الحوار البناء الذي يحقق العدالة للبنانيين كافة ويعيد لبنان الى وحدته وحريته عربيا وديمقراطيا لكل ابنائه .

واكد على أهمية تعزيز صمود سورية وعلى التلاحم النضالي بين سورية والقوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية التي تسير بخط كفاحي ضد العدو وضرورة مواصلة النضال لتعزيز وحدة قوى التحرر العربي . كما اكد اهمية التحالف الاستراتيجي بين الامة العربية والاتحاد السوفييتي في مواجهة مخططات الامبريالية والصهيونية، وتمنى للمؤتمر النجاح في تحقيق المهام والبرامج التي طرحها ...

القطر العربي السوري

بمبادرة من قيادة حزبنا . وتجسيدا للدور القومي الذي يضطلع به شعبنا الصامد تم تشكيل لجنة شعبية عليا في القطر العربي السوري تتولى مهمة اتخاذ الاجراءات والترتيبات اللازمة على الصعد كافة لدعم صمود الجنوب اللبناني البطل والمقاومة الوطنية اللبنانية للعدو الصهيوني .

وقد عقدت اللجنة اجتماعها برئاسة الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي وبحضور اعضائها الذين يمثلون رفاقا قياديين من احزاب الجبهة الوطنية التقدمية ورؤساء المنظمات الشعبية والنقابات المهنية ومختلف الفعاليات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في القطر .

وقد قررت اللجنة اقامة اسبوع لدعم صمود الجنوب اللبناني والتي تجسد المقاومة اللبنانية فيه منعطفا تاريخيا هاما في تاريخ

الصراع العربي الصهيوني مستندة الى قاعدتها الاساسية سورية الداعمة والمساندة لها في كل ما انجزته من انتصارات في مقاومتها للغزو الصهيوني لارض لبنان وفي متابعة مسيرتها حتى تحـريـر آخر شبر من ارض لبنان من قوات الاحتلال الصهيوني ·

القطر الأردني

احتفل حزبنا في القطر الاردني بذكرى تأسيس جريدته المركزية الداخلية الناطقة بلسان القيادة القطرية الاردنية « اليقظة » وذلك بمناسبة مرور ٣٩ عاما على اصدار العدد الاول في شباط ١٩٤٨ ·

ان « اليقظة » منذ تأسيسها أثرت تأثيرا مباشرا في تكويـن وتوجيه الراي العام ، والتزمت بعقيدة حزبنا فكرا ونضالا وشرحت عبر صفحاتها القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها شعبنا في القطر الشقيق وهي مستمرة في نهجها الثوري النضـالي ··